تاريخ المسلمين

في أفريقيا - ومشكلاتهم

(الحائز على الجائزة الأولى في مسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي لوقف المستشار الدكتور / محمد شوقي الفنجري لعام ١٩٩٤)

تأليف

دكتور
شوقي عطا الله الجمل
أستاذ التاريخ
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة

دكتور
عبد الله عبد الرازق إبراهيم
أستاذ التاريخ
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة
ووكيل المعهد للدراسات العليا



دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني - الفجالة
القاهرة ☎ / ٥٩٠٤٦٩٦

تاريخ المسلمين

فى أفريقيا – ومشكلاتهم

(الحائز على الجائزة الأولى فى مسابقة خدمة الدعوة والفقة الإسلامى لوقف المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى) لعام ١٩٩٤)

تأليف

دكتور
شوقى عطا الله الجمل
أستاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة

دكتور
عبد الله عبد الرازق إبراهيم
أستاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة
ووكيل المعهد للدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

علاقات العرب بأفريقيا - قديمة تمتد جذورها إلى أقدم عصور التاريخ ، وقد ساعدت العوامل الجغرافية ، والظروف الإجتماعية والسياسية والأقتصادية على قيام واستمرار هذه العلاقات ·

ولما بزغ نور الإسلام فى شبه جزيزة العرب كانت الحبشه - بشرق أفريقيا الدولة التى أمر الرسول ﷺ أتباعه بالهجرة إليها فهى كانت معروفة للمسلمين ، وتعددت بعد ذلك هجرة المسلمين للسهول المحيطة بالحبشة ، ولغيرها من المناطق الأفريقية ·

وكان فتح مصر إيذانًا باندفاع التيار الإسلامى إلى شمال القارة وغربها ، وكذلك جنوباً إلى بلاد النوبة والسودان ، وانتشر الإسلام بهدوء ودون اللجوء للقوة إلى مناطق شاسعة من القارة الأفريقية ، وكان للتجارة بين شمال القارة والأقاليم الواقعة جنوب الصحراء الكبرى دورها فى نشر الإسلام والثقافة ، تمامًا كما كان لها نفس الدور حينما مارسها التجار العرب فى المحيط الهندى بين آسيا والساحل الشرقى للقارة ·

وبرزت مدن تجارية ومراكز حضارية فى غرب القارة كما برزت مدن على ساحلها الشرقى ·

وساعدت جماعات ممن اعتنقوا الإسلام من هنود وباكستانيين وغيرهم فى نشر الإسلام فى إفريقيا فقد انتقلوا إليها واستوطنوا مناطق فى شرقها أو جنوبها ، كما ساعدت جماعات كالبربر والطوارق ممن إعتنق الإسلام - رغم أنهم قاوموه فى البداية- فى نشر الإسلام وحملوا رايته إلى مناطق بعيدة فى القارة الأفريقية بل منهم من ساهم فى نشر الإسلام فى خارج القارة الأفريقية وفى وغيرها من القارات ·

ومع الإسلام - انتشرت الحضارة الإسلامية واللغة العربية بين الزنوج وغيرهم

من سكان القارة الأفريقية ، فأصبح المسلمون فى أفريقيا - وقد وصل عددها إلى ما يقرب من نصف سكان القارة - أكثر شعوبها حضارة وتقدماً وأصبحوا رسل الحضارة لغيرهم من مراطنى القارة ، وأصبحت العربية فى مقدمة اللغات التى يتحدث بها غالبيه عظمى من سكان القارة ، وقد اعترفت بذلك منظمة الوحدة الأفريقية حين قامت فى عام ١٩٦٣ م ، فكانت اللغة العربية فى مقدمة اللغات التى كُتب بها ميثاقها ·

والمسلمون فى أفريقيا اليوم يواجهون مشكلات - سواء فى الدول الأفريقية الإسلامية التى يُمثلون فيها أغلبية أو فى الدول الأفريقية غير الإسلامية التى يمثلون فيها أقلية - ودراسة هذه المشكلات وأسبابها هى الخطوة الأولى لحلها ·

وهذا البحث يهدف إلى إعطاء فكرة متكاملة عن تاريخ المسلمين فى أفريقيا ، ومشكلاتهم ·

وهو يعتمد على عدد كبير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، ويتبع المنهج التحليلى الذى لا يقف عند حد سرد الأحداث ، كما يلتزم بالموضوعية التى يتطلبها البحث العلمى ·

والله الموفق ·

الباحثان

تمهيد

دخول الإسلام فى أفريقيا والطرق التى سلكها فى انتشاره فى القارة

تبلغ مساحة القارة الأفريقية ٠٠٠ ر ٧٠٠ ر ١١ ميلاً مربعاً أى ٣ ر ٢٢ ٪ من مساحة اليابسة ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مائتين وثلاثين مليون نسمة أى حوالى ١٠٪ من سكان الكرة الأرضية[١] .

ولا يفصل قارة أفريقيا عن شبه جزيرة العرب - مهد الإسلام - إلا شُقه ضيقة من الماء متمثلة فى البحر الأحمر الذى كان عامل وصل أكثر منه عامل فصل ، أما المحيط الهندى فكما سنوضح بعد - كان مجالاً لنشاط العرب منذ أقدم العصور .

ولذلك فعلاقة العرب بأفريقيا ترجع إلى العصور القديمة ، فمنذ زمن بعيد - يصعب تحديده بالدقة - جاء العرب إلى الساحل الشرقى لأفريقيا من الجزيرة العربية ، خاصة من الأقاليم الساحلية المواجهة لهذا الساحل الأفريقى الشرقى ، واستقر بعضهم فى هذه المناطق الأفريقية وأصبحت لهم تجارة زاهرة ، وكونوا إمارات عربية فى شرق أفريقيا شهد بعظمتها وبتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب على السواء .

وإذا علمنا أن المسافة بين زنجبار ، وعدن لاتتجاوز ٧٠٠ر١ ميل ، وبينها أى بين زنجبار ومسقط ٢٠٠ر٢ ميل تقريباً - أدركنا أن الإمتداد العربى لهذه الجهات

(١) محمد عبد الغنى سعودى (دكتور) : أفريقية - دراسة فى شخصية القارة ، وشخصية الإقليم (١٩٨٣) ص ب .

الأفريقية - كان شيئاً طبيعيًا . فالقبائل القريبة من الساحل الأفريقيى الشرقى أو كما عبّر عنها كوبلاند بالجيران (Next Door Neighbours) كان لابد لها أن تمد نشاطها وتجارتها ، وتنقل حضارتها التى سواحل أفريقيا الشرقية [١] . .

وبالإضافة إلى عامل الجوار - فهناك عامل جغرافى مناخى آخر - ساهم فى هذا الوقت المبكر فى قيام هذه العلاقات بين العرب القاطنين فى الجزيرة العربية ، وبين سكان السواحل الشرقية لأفريقيا ، ففى ديسمبر تهب الرياح التجارية من الشمال ، والشمال الشرقى ويستمر هبوبها بإنتظام حتى نهاية فبراير ، ومن أبريل إلى سبتمبر تنعكس المسألة فتهب رياح شديدة من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، من زنجبار إلى مدخل خليج عدن - فقد أصبح التجار الذين يبدأون رحلتهم فى سفنهم الشراعية من الشاطىء العربى فى الشتاء يستعينون بقوة الرياح المؤاتية فى سفرهم جنوباً صوب الساحل الأفريقيى ، بينما فى أثناء عودتهم لأوطانهم فى الربيع - بعد أن يكونوا قد قضوا بضعة شهور فى التجارة - يجدون أيضًا الرياح مؤاتية للإتجاه صوب الوطن الأصلى وبمضى الزمن أصبحت للتجار والبحارة العرب خبرة تامة بمواقيت الرياح وإتجاهاتها ، وأصبحت رحلاتهم من شبه الجزيرة إلى الساحل الأفريقى ، ومدة إستقرارهم بهذا الساحل تُنظم تنظيمًا دقيقًا تبعًا لمواسم الرياح المنتظمة المعروفة لهم . .

كذلك من الأسباب الرئيسية التى دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه جريزتهم (العمانيون ، والحضارمة على وجه الخصوص) - أنهم نشأوا فى بيئة بحرية مثالية فى جنوب الجزيرة العربية ظهيرها طارد ، فكان طبيعياً أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا فى مجموعات صغيرة أنتشرت فى المبدأ فى بعض الجزر الساحلية مثل مافيا ، وزنجبار ، وبمبا ، وفى المراكز الساحلية مثل سُفاله، ومالندى،وكلوة ، وممبسه، ودار السلام ، واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وحضارتها وأن تندمج فى السكان الأصليين [٢] .

(١) Coupland , R . : East Africa and Its Invaders (London 1938) p . 155 .

(٢) محمد صفى الدين (دكتور) : أفريقيا بن الدول الأوربية (القاهرة ١٩٥٩) ص٥٢ .

وهكذا أصبحت السفن العربية تحمل بين الحين والحين بعض الذين طاب لهم الإستقرار بالساحل الأفريقى للإتجار ، وليكونوا حلقة إتصال بين إخوانهم فى الجزيرة العربية ، وبين سكان السواحل الأفريقية والجهات الداخلية فيها ، وبمضى الزمن - زاد عدد الوافدين للإستقرار ، وزادت العلاقات مع الداخل والتوغل فيه ، وتشعبت المصالح ، وأصبحت للعرب إمارات عربية فى هذه السواحل الأفريقية ، لها إتصال ومصالح مع الجماعات العربية فى الجزيرة العربية نفسها ، وبالتجار فى القارة الأفريقية .

ولا شك فى أن الإستقرار العربى على الساحل الأفريقى المقابل للجزيرة العربية حدث بهدوء ، ودون اللجوء للقوة أو العنف ، فالتاريخ لا يذكر لنا حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين[1] .

وكان الغرض التجارى هو الغالب على هذه الجماعات العربية المهاجرة للسواحل الأفريقية فلم تكن الفكرة - فكرة استعمارية - أى الاستحواذ على الأرض ثم الإنتشار منها للداخل .

ولهذا كان الإستقرار على الساحل فحسب ، وفى نقط مختارة تخدم هذا الدافع التجارى ، ولذا كانت تُختار هذه النقط بحيث تكون لها مزاياها التجارية ، كثغر من الثغور سهل الإتصال بداخل القارة ، ويسهل أيضاً الوصول إليه من الجزيرة العربية المقابلة .

فالغرض الأساسى من الإستقرار هو الحصول على الحاصلات الداخلية ونقلها للثغور الساحلية للإتجار فيها ، وكذلك إستيراد ما يمكن تصريفه من البضائع من داخل القارة ، ولهذا لم تقم هذه الجماعات العربية بامتلاك الأرض - إلا بالقدر الضرورى لحماية الثغر التجارى ، ومن ثم كانت رقعة الممالك العربية على الساحل الأفريقى ضيقة ، ولا شك فى أن عوامل طبيعية أخرى أملت إلى حد ما عدم الانتشار للداخل ، منها عوائق تتمثل فى التضاريس ، والمناخ ، والنبات - كانت لحد ما - غير

(١) شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : تاريخ كشف أفريقيا وإستعمارها (١٩٨٠) ص ٤٨ .

مشجعة على التوغل فى الداخل لمسافات كبيرة - لكن لا شك أيضاً فى أن الأغراض التجارية حتمت فى كثير من الأحيان - إرسال حملات للداخل لحماية القوافل ، وضمان وصولها ، ولعقد اتفاقات تجارية مع أمراء أفريقيين بالداخل ، ولذا فقد انتقل النفوذ العربى فى ظروف كثيرة نحو باطن القارة .

ويمكن أن نتصور أن الوجود العربى فى شرق القارة قد مر بمرحلتين - فقد اقتصر فى المبدأ على الجزر الساحلية وبعض الأقاليم الساحلية - لكن انتشر العرب بعد ذلك فى شرق القارة فى المناطق المواجهة للجزر ، وتوغلوا فى الداخل بقدر ما مكنتهم الظروف الطبيعية ، وما استلزمته مصالحهم التجارية ، وانتهى الأمر بتكوين إمارات عربية بشرق القارة تختلف مساحتها وسلطانها باختلاف الظروف .

وأعطى ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وجهر النبى ﷺ بالدعوة - دفعة قوية للعرب للخروج من شبه جزيرتهم لنشر الدين الجديد والتعريف به ودعوة الناس للدخول فيه ، وبالطبع كانت المناطق التى سبق أن عرفها العرب وتعاملوا مع سكانها من أول المناطق التى انطلق إليها العرب المسلمون ، وقد أصبح التجار المسلمون دُعاة الإسلام فى شرق أفريقيا ، كما سيكون لهم دورهم أيضاً فى غرب القارة ، وكان سلوكهم وأمانتهم ومعاملاتهم حسب تعاليم الإسلام - خير مشجع للأفارقة لإعتناق الدين الجديد الذى يدعو للمساواة بين الناس ولا يفرق بينهم إلا على أساس التقوى ، كما يدعو للأمانة ومراعاة الله فى الكيل والوزن وتحديد الربح[1] .

ونشير إلى أن بعض الأحداث التى حدثت فى الجزيرة العربية - أدت لهجرة بعض القبائل أو الأحزاب من شبه الجزيرة ، وكان شرق أفريقيا ، ومعرفة العرب السابقة بهذه المناطق - المكان الذى لجأت إليه بعض العناصر المسلمة المهاجرة - فمثلاً

---

(١) دور التجارة فى نشر الإسلام من المواضيع الهامة التى تستحق الدراسة بعمق ، وفيما يتعلق بغرب أفريقيا سنشير فيما بعد إلى ماكتبه (برفل) عن دور التجار المغاربة المسلمين فى هذا المجال فى كتابه :

Bovill , E . W . : The Golden trade of The Moors (London 1960) .

حين اشتد النزاع بين أحزاب المسلمين كانت بعض الأحزاب المغلوبة على أمرها تُهاجر إلى شرق أفريقيا ، وتتخذ من هذه الجهات موطناً لها ، فأثناء حكم عبد الملك بن مروان مثلاً ٧٥ - ٩٥هـ (٦٩٥ - ٧١٤م) هاجر بعض العمانيين إلى (لامو)بشرق القارة ، وانشأوا إمارة اسلامية فيها[١] .

وكانت أحداث مماثلة فى الجزيرة العربية أو غيرها من البلاد العربية الإسلامية دافعًا لمزيد من هجرات المسلمين للقارة الأفريقية .

ولا شك فى أن هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا واستقرارهم على أرض القارة بأعداد كبيرة ، وما تبع ذلك من إندامجهم فى السكان الأصليين وتزاوجهم معهم - ترتبت عليه نتائج هامة وعميقة ، فقد ترتب على ذلك مثلاً وجود جنس تبدو فيه كثير من الصفات والعادات والتقاليد العربية بالإضافة إلى الصفات والتقاليد الأفريقية .

ولذا فقد أصبحت الإمارات التى كونها العرب بشرق أفريقيا - مزيجاً تجمع فى أنظمتها بين أشياء أفريقية وبين أشياء إسلامية ،وحتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحيلية) . لكن مما لا شك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة ، ولا شك فى أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه كان يمثل مصدر إشعاع قوى - والمسلمون المهاجرون لشرق أفريقيا - لم يعمدوا لتغيير أوضاع وتقاليد الجماعات التى إستقروا بينها واندمجوا فيها فى أفريقيا - طالما كانت هذه الأوضاع والتقاليد لا تتعارض مع المبادىء الأساسية للإسلام - لكنهم نقلوا لهذه الجهات حضارتهم ، ولذا فقد تميزت المناطق التى كانت لها صلة بالمسلمين أو التى استقروا بها بميزات حضارية خاصة .

وقد لمس ذلك الرحالة العرب الذين زاروا هذه الجهات مثل ابن بطوطة[١] .

---

(١) سنشير فيما بعد للثورة التى حدثت فى عمان ضد الخليفة عبد الملك بن مروان وتكليف الخليفة للحجاج بن يوسف الثقفى بإخضاعها وهجرة الثوار لشرق أفريقا .

- للتفاصيل انظر:

عبد الله بن خلفان بن قيصر : سيرة الإمام ناصر بن مرشد جزء من مخطوطة مصورة بالميكروفيلم بدار المحفوظات بلندن برقم ٢٣٤٣ ونشرتها سلطنة عمان ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م)

وكذلك Coupland , R , : op , Cit . pp . 20 - 22

(٢) أحمد العوامرى بك، ومحمد جاد المولى : مهذب رحلة ابن بطوطة (مطبعة بولاق) ص ٢٠٠ .

كما نوه الرحالة الأوربيون الذين جاءوا مؤخراً بما لمسوه من حضارة فى هذه المناطق لا تقل عن حضارة المجتمعات الأوربية ، فقد ذكر ذلك فاسكوداجاما (Vasco Da Gama) الذى وصل إلى هذه المناطق فى رحلاته المشهورة ، وشهد نفس الشهادة دوارت بربوسا (Duarte Barbosa) عند زيارته لكلوه ، وممبسه ، ومالندى وبمبا ، وزنجبار ، وعلّق على ذلك كوبلاند بقولة « إننا يجب ألا نندهش لما ذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا - فإن العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، فلا شك فى أن مدارس بغداد، والقاهرة، تونس - كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك التى فى أكسفورد أو التى فى أية مدينة مسيحية أخرى » (١) .

وتُغنى هذه الشهادة من أجنبى إستعمارى عن كل تعليق آخر .

الطرق التى سلكها الإسلام فى إنتشاره فى القارة :

كانت شرق أفريقيا من المناطق التى إستقر فيها العرب ، والتى هاجر إليها المسلمون - كما رأينا - فى وقت مبكر منذ بزغ نور الإسلام ، وقد سلك المسلمون عدة طرق إلى القارة الأفريقية وفى إنتشارهم فيها ، ومن أهم هذه الطرق : (٢)

١ - طريق المحيط الهندى :

فالمحيط الهندى هو طريق العرب الأساسى من شبه الجزيرة العربية إلى شرق القارة وقد أشرنا للعوامل الجغرافية وغيرها التى يسرت هجرة العرب من شبه الجزيرة العربية عبر هذا الطريق إلى شرق القارة .

٢ - باب المندب :

وهو مدخل طبيعى للمناطق المقابلة له من شرق القارة ، وقد سلكه العرب قبل الإسلام إلى مناطق مثل مصوع ، وعصب وما وراءها فى الداخل - فكان طبيعياً أن يسلكه المسلمون إلى داخل القارة ، ويشير د. عبد العزيز كامل إلى أن إطلاق أسماء

---

(١) Coupland: : OP . Cit P. 39 .

(٢) من الدراسات الجادة والهامة والمفيدة فى هذا المجال : عبد العزيز كامل (دكتور) : جغرافيا الإسلام فى إفريقية (محاضرات ألقيت فى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة) .

بعض الأودية والأنهار فى إرتريا والسودان مثل مأرب ، والقاش وهى أسماء لأودية وأنهار فى الجنوب العربى - لم يكن من قبيل الصدفة ، وإن استخدام العرب لمدخل باب المندب بعد ظهور الإسلام - ما هو إلا متابعة للهجرات العربية التى إستخدمته من قبل [(١)] .

والمحيط الهندى ، وباب المندب كانا طريق المسلمين إلى الحبشة القريبة من باب المندب ، حيث أمر الرسول (ﷺ) أتباعه بالهجرة إلى الحبشة حين أشتد بهم الأذى [(٢)] .

كما دخل الإسلام عن هذا الطريق إلى الصومال فأصبح دولة إسلامية ، كما امتد إلى كينيا وتنزانيا الحاليتين ، ووصل الإسلام إلى أعالى الكنغو حيث استطاع حميد بن محمد المرجبى الذى اشتهر باسم تبوتيب (Tippu Tip) تكوين دول عربية كانت عاصمتها كاسونجو ظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠ [(٣)] .

٣ - البحر الأحمر :

عبور البحر الأحمر لم يُمثل عقبة فى وجه الإنتقال بين الشاطئين العربى والأفريقى ، وبعد الإسلام أصبح البحر الأحمر يُمثل طريقًا هامًا للحج للمسلمين الأفارقة ، وقامت على الشاطىء الأفريقى لهذا البحر موانى هامة بإعتبارها مناطق تجمع الحجاج فى طريقهم للأماكن المقدسة الإسلامية بالجزيرة العربية ، وتطورت أهمية البحر الأحمر فقد أصبحت بعض موانيه محطات هامة على الطريق الملاحى الذى يصل المحيط الهندى بعالم البحر المتوسط خاصة بعد شق قناة السويس .

---

(١) عبد العزيز كامل : نفس المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) للدكتور عبد العزيز كامل تعليق طيب على الهجرة للحبشة - فهو يعتبرها هجرة مؤقتة ويعتبر الحبشة أرض إيواء ، بينما يثرب وقبول وفدها الإسلام وهجرة المسلمين إليها - فقد أصبحت قاعدة انطلاق .

(٣) اشتهر حميد بن محمد المرجبى - للدور الذى قام به فى معاونة الرحالة ستانلى فى كشف نهر الكنغو - ولمن يريد المزيد يرجع إلى يواقيم رزق :حميد بن محمد المرجبى ، والوجود العربى فى الكنغو ، وسالة ماجستير معهد البحوث الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٥ - بإشراف د. شوقى الجمل .

٤ – شبه جزيرة سيناء :

سيناء معبر يربط آسيا بأفريقيا ، ولم تكن صحراء سيناء فى أى يوم حائلاً بين القبائل العربية المنتشرة فى شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية ·

وستلعب شبه جزيرة سيناء دوراً هامًا كطريق لهجرة القبائل العربية إلى شمال وغرب أفريقيا ، ومن أهم الهجرات التى سلكت هذا الطريق هجرة بنى هلال ، وبنى سليم ، وقد استقرت بعض القبائل العربية المسلمة فى سيناء كما أن بعضها إتخذها معبراً إلى الغرب ، وقد دفعت هذه القبائل العربية أمامها قبائل بربرية إلى الجنوب والغرب ·

وتتمثل أهمية سيناء فى أنها الطريق البرى الوحيد بين الشطر (الجناح) العربى الأسيوى ، والشطر (الجناح) العربى الأفريقى ·

٥ – مصر كقاعدة للانطلاق الإسلامى فى أفريقيا :

كان فتح مصر فى العام التاسع عشر للهجرة فى عهد عمر بن الخطاب ودخول مصر فى حوزة الأمة الإسلامية – مرحلة هامة فى تاريخ الإسلام فى افريقيا ·

فمن مصر إنطلق المسلمون فى اتجاهين هامين :

(أ) اتجاه جنوبى [١] إلى بلاد النوبة وسودان وادى النيل وإلى الجنوب الشرقى إلى إرتريا ·

(ب) اتجاه غربى – اتجه فى طريق ساحلى إلى برقه ، وطرابلس ، والمغرب (افريقية) ، وكان تأسيس عقبة بن نافع مدينة القيروان عام ٥٠ هـ خطوة هامة فى هذا الإتجاه·

٦ – المغرب كقاعدة لإنطلاق الإسلام فى افريقية :

كما أثرت مصر فى إنتشار الإسلام والثقافة العربية فى سودان وادى النيل

(١) عن انتشار الإسلام فى النوبة انظر :
– المقريزى : الخطط (١٣٢٤ هـ) جـ ١ ص ٣٢٢ – ٣٣٧ ·
– البلاذرى : فتوح البلدان (١٩٣٢) ص ٢٢٥ وما بعدها ·

وشرق أفريقية - كذلك كان أثر بلاد المغرب واضحًا فى تاريخ الإسلام فى غرب أفريقيا .

فمنذ اللحظة التى دخل فيها الإسلام بلاد المغرب بدأ يتسرب إلى غرب أفريقية، والمعروف أن عقبة بن نافع الفهرى أوغل بقواته حتى ساحل المحيط ، وسار موسى ابن نصير فى نفس الطريق ، فانفتح الباب للإسلام صوب الغرب وجنوبًا إلى قلب القارة التى أطلق عليهــا الأوربيـــون فى وقت من الأوقات تعبير (القارة السوداء)، وكان هذا أول إتصال بين الإسلام القادم من المغرب وبين أقاليم غرب أفريقيا ، وتتابعت بعد ذلك هجرات البربر الذين اندفعوا فى موجات متعاقبة نحو الجنوب متأثرين بالأحداث السياسية التى تعرضت لها المغرب ، ولعل من أبرز القبائل التى لعبت دوراً حاسمًا فى نشر الإسلام فى هذه الجهات قبائل الملثمين (الطوارق) بالذات، وقد كان لها نشاط واضح فى منطقة السنغال والنيجر وغيرهما من المناطق[(١)].

وسنشير بتفصيل فيما بعد للدور الذى لعبته هذه القبائل فى نشر الإسلام فى غرب افريقيا .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن هجرة بعض القبائل العربية مثل بنى سليم ، والهلاليين وتقدمها تجاه الصحراء بحثًا عن مناطقُ تشبه إلى حد ما فى ظروفها وأنماط حياتها - تلك التى تعودت عليها فى بيئتها الأولى فى الجزيرة العربية - أدى بدوره إلى هجرة قبائل بربرية وزنجية تجمعت فى الواحات أو على ضفاف الأنهار ، وساعد ذلك بدوره على نشر الإسلام في المناطق التى نزحت إليها هذه القبائل - ويذكر توماس أرنولد أن هذا أدى إلى تغيير أساسى فى توزيع السكان[(٢)] .

وقد أدى ذلك إلى نشأة مدن وحواضر إسلامية كبرى فى غرب أفريقيا ، بل

---

(١) Dubois, F. : Islam Noir (Paris 1899) P. 28 .

(٢) توماس ، ارنولد : الدعوة إلى الإسلام (معرب - القاهرة ١٩٥٧) ص ٣٩١ وما بعدها .

تبع إنتشار الإسلام فى غرب أفريقيا قيام ممالك إسلامية كبرى لها مكانتها وحضارتها فى غانا ، ومالى ، وسنغى ، وبرنو ، وكانم وقد ظل بعض هذه الممالك قائمًا إلى أن واجهت موجة الغزو الأوربى الإستعمارى للقارة الأفريقية .

٧ - الهجرة من الملايو وشبه القارة الهندية وباكستان وأثرها فى نشر الإسلام فى أفريقيا :

هاجرت اعداد ليست قليلة من شبه القارة الهندية وباكستان إلى ساحل أفريقيا الشرقى والى أقصى جنوب القارة ، وانتشر هؤلاء ومنهم عدد كبير من المسلمين فى تنزانيا ، وكينيا ، وفى أقصى جنوب القارة ، واستقر عدد منهم وأصبحوا جزءًا من التكوين السكانى فى هذه الجهات التى استقروا بها ، وساهموا فى نشر الإسلام بين عدد من المواطنين فى أماكن استقرارهم (١) .

بعد هذا العرض للظروف التى دخل فيها الإسلام أفريقيا والطرق التى انتشر منها فى القارة لعل السؤال الذى يفرض نفسه علينا هو ما هى حدود أرض الإسلام فى أفريقيا، وما هى النسبة المئوية لعدد المسلمين فى القارة لعدد سكانها .

يبلغ عدد سكان أفريقية نحو ثلاثمائة مليون نسمة ، ويصل عدد المسلمين منهم نحو ١٨٠ مليون نسمة أى حوالى ٦٠٪ من السكان - ويمثلون أكبر كتلة بشرية متماسكة ، ويُحيطون بالصحراء الكبرى ، ويشرفون على البحرين المتوسط والأحمر، وشاطىء المحيط الهندى ، والأجزاء الشمالية من سواحل أفريقية المطلة على المحيط الأطلسى ، ويتوغلون فى قلب القارة بدرجات متفاوتة (٢) .

تحديد أرض الإسلام فى القارة :

اذا حاولنا أن نحدد أرض الإسلام فى القارة نجد :

---

(١) يرجع أصل عدد كبير من مسلمى جنوب أفريقيا إلى الملايو ، وقد جاء بهم الهولنديون فى القرن السابع عشر .

- أنظر توماس ، ارنولد : المرجع السابق ص ٢٩٤ وما بعدها .

(٢) عبد العزيز كامل : مرجع سابق ص ٦٣ .

١ - الحدود الشمالية :

يُعتبر الشاطىء الجنوبى للبحر المتوسط حداً شماليا لأرض الإسلام فى أفريقيا ، ومن المغرب العربى عَبر طارق بن زياد بجيوش المسلمين إلى شبه جزيرة إيبريا ، وظل المسلمون سادة هذه البلاد ما يقرب من ثمانية قرون حتى سقطت غرناطة آخر معاقل العرب بها فى عام ١٤٩٢ م ٠

وقد استطاع المسلمون أن يُسيطروا على بعض جزر البحر المتوسط كصقلية واتخذوا منها مواقع للمحافظة على ما وراءها من أرض المسلمين - لكن البحر المتوسط لأهميته الملاحية ظل مطمعًا للدول الإستعمارية ، فسعت انجلترا للتحكم فى مدخله الغربى ومدخله الشرقى ، وكانت الدول الإسلامية المطلة على هذا البحر مطمعًا للدول الاستعمارية (انجلترا ، فرنسا ، ايطاليا ، أسبانيا) ٠

٢ - الحدود الشرقية :

أشرنا فيما مضى إلى سيناء وأهميتها باعتبارها المعبر البرى الوحيد الذى يربط بين الجناح الأفريقى ، والجناح الأسيوى من أرض الإسلام ٠

وقد كان لهذا المعبر أهميته فقد كان - ومازال الممر الذى تعرضت منه مصر الإسلامية بالذات لخطر الغزو ٠

والمنطقة الثانية من الحدود الشرقية - تتمثل فى الشواطىء الغربية للبحر الأحمر ، وهذا البحر - بحر إسلامى يُحيط المسلمون بشاطئه الآسيوى والأفريقى لكنه لأهميته الملاحية خاصة كطريق للهند وتجاره الشرق فى العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة وكطريق هام تخترقه حاليًا البواخر حاملة البترول من دول الخليج وغيرها للبحر المتوسط فأوربا - كان ميدان صراع وتعرضت الدول العربية الإسلامية ، المطلة عليه لمحاولات عدوانية متعددة ٠ وكان على القوى الإسلامية أن تتصدى لهذا العدوان ٠

ومر الصراع الأوربى الإسلامى سواء فى البحر المتوسط أو فى البحر الأحمر أو فى المحيط الهندى فى مراحل متعددة يضيق المجال هنا عن عرضها لكنها تمثلت فى

الصليبيات ، كما تمثلت فى محاولات الدول الاستعمارية الأوربية للسيطرة على الدو العربية ذاتها أو على الأقل على المنافذ والثغور الإستراتيجية كجبل طارق ، وطنجة فى المغرب وقناة السويس فى المشرق ، وعدن فى الجزيرة العربية بموقعها الفريد فى مدخل البحر الأحمر ، كما لعبت جزر البحر الأحمر دوراً فى هذا الصراع .

وتمتد الحدود الشرقية لأرض الإسلام لتشمل الصومال ، كما تمتد جنوباً إلى كينيا وتنزانيا ، وبطول الساحل الجنوبى الشرقى للقارة حيث كانت للمسلمين إمارات عربية فى العديد من النقاط الساحلية .

وقد اشرنا إليها من قبل - وذلك قبل أن يكتشف البرتغال طريق رأس الرجا الصالح فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، واستعاد المسلمو نفوذهم فى بعض مناطق من هذا الساحل بعد ذلك فى القرن التاسع عشر عندما نجح السيد سعيد فى أن يصبح صاحب النفوذ على شرق افريقية وجعل زنجبار حاضر لبلاده ، وانتشر المسلمون - كما ذكرنا بعد ذلك إلى اقصى جنوب القارة .

وان كان المسلمون فى أقطار كمصر والسودان والصومال يمثلون غالبية بي السكان وتعتبر الدولة الإسلام دينها الرسمى - فإن المسلمين فى جمهورية جنوب أفريقيا يمثلون مجموعة دينية فقط .

٣ - الحدود الغربية :

انتشر الإسلام - كما ذكرنا - من شمال القارة من المغرب على وجه الخصوص عابراً الصحراء ، ولذا انتشر على جبهة عريضة وغمر الأجزاء الشمالية من غرب أفريقية ، متوغلاً حتى شمال نيجيريا التى كانت فيها سلطنات إسلامية مثل (سلطنة سوكوتو) ، ويقل تركز الإسلام كلما توغلنا نحو ساحل غانه .

وقد يثير الدهشة ان الإسلام انتشر فى مناطق كسيراليون وليبريا فى الأجزاء الداخلية القريبة من المؤثرات الآتية من المغرب اكثر من السواحل التى تأثرت بالمؤثرات المسيحية المصاحبة لنشاط الدول الأوربية المسيحية

وبعد هذا العرض العام لظروف دخول الإسلام وانتشاره فى أفريقيا - لعله من المناسب أن نتعرض بشىء من التفصيل لتاريخ المسلمين فى بعض أقطار أفريقيا الهامة .

* * *

الفصل الأول

المسلمون فى شرق افريقيا

أولاً : المسلمون فى ساحل أفريقيا الشرقى :

ذكرنا فى التمهيد أن العرب عرفوا الساحل الشرقى للقارة من وقت بعيد ، وكانت لهم تجارتهم مع هذا الساحل ، وقد هاجر عدد من العرب إلى هذا الساحل واستوطنوا فيه ، واندمجوا مع السكان الأصليين وتزاوجوا معهم وكونوا إمارات عربية ، ولما ظهر الإسلام فى الجزيرة العربية أعطى دفعة جديدة وقوية للعرب للهجرة للساحل الشرقى- لنشر مبادىء الدين الجديد وكانت للأحداث التاريخية التى تعرضت لها الدولة الإسلامية آثارها فى زيادة الهجرة لهذه المناطق المعروفة لهم ، فتوالت الهجرات العربية لساحل أفريقيا الشرقى بعد ظهور الإسلام - من البحرين ، وعمان ، والأحساء ، واليمن ، وحضرموت وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة العربية ، وكان للعرب المسلمين فى سوفالا ،وكلوه ، وزنجبار ، وممبسة ، ومالندى وجودهم القوى ، وطُبعت هذه البلاد بالحضارة العربية التى أشاد بها الرحالة العرب والأجانب ، وكان من مظاهرها إنتشار اللغة السواحيلية التى هى مزيج من اللغة العربية واللغات الأفريقية التى كانت سائدة بين السكان على الساحل .

وظل للعرب فى هذا الساحل نفوذهم وتجارتهم الزاهرة حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر البلادى) حين وصل البرتغاليون لهذا الساحل .

ولم يقتصر الوجود العربى على الساحل بل توغلوا للداخل ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنهم وصلوا إلى أعالى نهر الكنغو (مملكة حميد بن محمد المرجبى) .

على أن اكتشاف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم إلى شرق أفريقيا - أدى لصراع مرير بين العرب المستقرين من وقت طويل على الساحل وفى

مناطق من الداخل بقدر ما كان نشاطهم التجـــارى يستلزم - وبين المستعمرين البرتغال ٠

وكان الرحالة البرتغالى بيدرو دى كوفيلهام (Pedro De Covilham) قد وصل إلى مصر فى عام ١٤٨٧ م وسافر عن طريق البحر الأحمر لعدن والهند ، وفى أثناء عودته زار أغلب المناطق العربية فى الساحل الشرقى لأفريقيا ودخل جنوبًا حتى شرم سفاله (Sofala) ثم عاد إلى القاهرة (١) ٠

وقد فتحت المعلومات الهامة التى جمعها هذا الرحالة - العيون إلى أهمية المناطق العربية بشرق القارة ، وكانت أساسًا للرحلة التى قام بها فيما بعد فاســـكو داجاما (Vasco Da Gama) حول رأس الرجاء الصالح ووصل إلى الإمارات العربية بشرق افريقيا ثم الهند ٠

فقد وصل داجاما عام ١٤٩٨ إلى نهاية القارة الأفريقية وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى للقارة ، وزار الإمارات العربية فى المنطقة - وقد ذُهل لما رأه فى هذه الإمارات من مستوى حضارى (٢) ٠

وتتابعت بعد ذلك رحلات البرتغال للهند عن هذا الطريق الجديد ، وكان هذا بداية للصراع بينهم وبين العرب المسلمين المستقرين بشرق أفريقيا ، بل بين البرتغال والقوى العربية فى العالم الإسلامى (المماليك ، ثم الاتراك) ، فقد كان الدافع الدينى من أهم دوافع البرتغال منذ أن نجحوا فى طرد العرب من أيبريا وتعقبوهم بعد ذلك لشواطىء أفريقية الشمالية والغربية ثم وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح فشرق أفريقيا فى محاولة للوصول إلى تجاره الشرق التى كانت عصب الحياة الإقتصادية فى دولة المماليك التى كانت تبسط نفوذها على الشام ومصر والحجاز (٣) ٠

---

(١) Johnston , H. : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913 P. 42 .

(٢) Duffy , James : Portuguese Africa (London 1959) p. 2.

(٣) عن الدافع الدينى وراء نشاط البرتغال الاستعمارى يرجع إلى :
شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (١٩٨٠) ص ١٣١ وما بعدها ٠

وفى سنة ١٥٠٢ م أثناء رحلة داجاما الثانية للهند نزل فى كلوه ، وتحت التهديد بحرق المدينة أجبر السلطان على الإعتراف بسيادة البرتغال على المدينة ودفع جزية سنوية رمزاً لهذه التبعية .

ويتبع ذلك خضوع زنجبار - التى يصفها البرتغاليون بأنها كانت فى ذلك الوقت عبارة عن جزيرة خضراء ناضرة تعج حدائقها بأشجار الفاكهة والخضروات .

وفى سنة ١٥٠٥ غادر لشبونه أسطول كبير من ثلاثة وعشرين سفينة تحت قيادة فرانسيسكودى الميدا (Francisco De Almeida) بهدف تثبيت أقدام البرتغال فى الموانى الواقعة على الساحل الشرقى للقارة والقضاء على نفوذ المسلمين الذين كانت لهم السيادة التامة على الطريق التجارى ، ويعملون كوسطاء فينقلون منتجات الهند وغيرها من دول الشرق عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر أو الخليج العربى إلى سواحل البحر المتوسط حيث تجد طريقها إلى أوربا ، وكانت السفن العربية قد وصلت إلى الصين وكانوا من قرون قد احتكروا هذا العمل .

ولتحقيق هذا الهدف استولى البرتغال على سُفالة ، وكلوة التى قاومتهم بعنف فانتقموا منها بإشعال النار فى المدينة بعد نهبها وأقام البرتغال فى كلوة حصناً تركوا به حامية لهم .

وتقدموا إلى مالندى ، وقد دافع سكانها من العرب المسلمين ومن الأفارقة دفاع الأبطال عن مدينتهم ، وكان رد فعل البرتغال أنهم أشعلوا النار فى المدينة فأتت على كل شىء ولم يتركوها إلا بعد أن أصبحت رماداً ، حتى أن شيخ المدينة المنكوبة والتى كانت قبيل مجىء البرتغال فى أوج عظمتها كتب إلى زميله حاكم مالندى(Malindi) يصف كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم إليها بعد أن نهبها الغزاه البرتغاليون وتركوها للنيران فقال « لم يتركوا فيها أى كائن لا رجلاً ولا إمراة لا صغيراً ولا كبيراً حتى الأطفال ، كل الذين فشلوا فى الهروب قتلوهم أو أحرقوهم » وحذره من هذا الخطر الزاحف[١] .

---

(١) Duffy , op . cit . p . 28 .

وبسقوط كلوه ، وممبسة سقط عمودان من أهم الأعمدة التى كانت تعتمد عليها السيادة العربية الإسلامية فى شرق أفريقيا .

وفى سنة ١٥٠٦ أرسل اسطول برتغالى آخر من أربعين سفينة لشرق أفريقيا تحت قيادة البركيرك (Albuquerque) فاستولى على لامو ، وبراوه ، كما استولى على جزيرة سوقطوه وبنى فيها البرتغاليون حصناً أصبح قاعدة هامة لعملياتهم البحرية فى المحيط الهندى .

وفى سنة ١٥٠٧ سقطت موزمبيق (Mozombique) فى يد القائدة البرتغالى دوارت دا ميللو (Duarte De Mello) واستقر البرتغاليون بها وبنوا مستشفى وكنيسة بالإضافة لثكنات لجيوشهم - وكان هذا بداية لمستعمرة موزمبيق البرتغالية التى ظلت تحت سيطرة البرتغال حتى عام ١٩٧٥م حين نجحت المستعمرات البرتغاليه بشرق القارة وبغربها (موزمبيق ، وانجولا ، وغينيا بيساو) فى أن تسترد حريتها بعد سقوط حكومة ساليزار الدكتاتورية فى البرتغال .

وزار البرتغاليون مدغشقر (مالاجاشى) ، كما اكتشفوا جزيرة سنت هيلانه ، وامتد نفوذهم على الساحل الشرقى حتى سفاله جنوباً ، أما فى الشمال فقد اعتمدوا فى بسط نوفذهم على صداقة شيوخ مالندى الذين استطاعوا أن يستميلوهم إلى جانبهم منذ أن قدموا لأول مرة للسواحل الأفريقية الشرقية مستغلين روح العداء التى كانت بين هؤلاء الشيوخ وشيوخ ممبسه ، وأقام البرتغاليون فى ممبسة بعد سقوطها فى أيديهم قلعة حصينة كانت بمثابة اليد الحارسة للنفوذ البرتغالى فى هذا القطاع ، وكان لقائد هذه القلعة وكلاء فى الموانى المجاورة مثل كلوه ، وبمبا ، وزنجبار .

وفى سنة ١٥٠٩ عين البرتغال حاكماً عاماً لمستعمراتهم فى شرق افريقيا ، وبعد ذلك اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج فهاجموا مسقط ، وهرمز ، وعدن .

وهذا يوضح لنا بجلاء الارتباط القوى بين تاريخ المسلمين فى شرق أفريقيا ، وفى السواحل والمناطق الهامة المواجهة لهذه السواحل فى بلاد العرب .

على أننا نشير إلى أن البرتغال لم تكن القوة الإستعمارية الوحيدة التى إتجهت بأنظارها لهذه المناطق الهامة بساحل أفريقيا الشرقى وللمحيط الهندى وجزره - فقد

انفتح الطريق أمام الدول الإستعمارية الأوربية الأخرى مثل هولندا ، وفرنسا ، وانجلترا ، والتى حلت فى هذا المجال محل البرتغال بعد أن أصاب الوهن والضعف البرتغال خاصة بعد أن تأسست الشركات التجارية الاستعمارية التى أطلقت على نفسها اسم (شركات الهند الشرقية)[1] - وتنافست هذه الشركات فى نشاطها التجارى والإستعمارى ولعبت كل منها دوراً استعمارياً بارزاً فى الطريق المؤدى للهند ، وفى سبيل تحقيق مصالحها ومصالح الدول التابعة لها حاولت الإستيلاء على المواقع الاستراتيجية فى هذا الطريق[2] .

على أن المسلمين فى شرق أفريقيا استطاعوا فى فترة تالية من تاريخهم أن يستعيدوا قوتهم وأن يواجهوا الأطماع الإستعمارية فى بلادهم وساندتهم فى ذلك القوى الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية وفى غيرها من الأقطار العربية - وقد لعب العثمانيون بالذات دوراً هاماً فى هذا الصراع[3] .

وسبق أن اشرنا إلى أن السلطان السيد سعيد بعد أن تقلد إمامة عمان - استنجد به المسلمون فى شرق أفريقية ، وقد نجح فى عام ١٨٣٧ فى الإستيلاء على ممبسة وأصبح صاحب النفوذ على شرق أفريقيا ، ونقل بعد ذلك حاضرة دولتة إلى زنجبار - وأدت سياسته الحكيمة إلى إزدهار زنجبار ، وتوافد عليها عدد كبير من المسلمين من شبه الجزيرة العربية ، ومن الهند ومن الأفارقة ، ووفد إليها مهاجرون من أقطار إسلامية أخرى[4] .

---

(١) تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٦٠٠ .
وشركة الهند الشرقية الهولندية سنة ١٦٠٢م وشركة الهند الشرقية الفرنسية سنة ١٦٦٤ م

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :
Hoskins : British Routes to India (London 1928) .

(٣) عن الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا يرجع إلى : (عبد النبى على أحمد على : الصراع العمانى البرتغالي فى شرق أفريقيا - رسالة دكتوراه من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة إشراف د . شوقى الجمل .

(٤) شجع السيد سعيد الهنود المسلمين للهجرة لزنجبار فأعطاهم امتيازات وبلغ عددهم فى عام ١٨٦٠ ما يزيد على ٦٫٠٠٠ شخصى .

وقد مد السيد سعيد نفوذه شمالاً حتى بلغ حدود الحبشة الجنوبية ، وجنوباً حتى موزمبيق البرتغالية بل إنه اتجه ببصره إلى جزيرة مدغشقر فتزوج من ملكتها وربط بذلك الدولتين بروابط المصاهرة .

ولما أخذت عوامل الضعف تدب فى كيان زنجبار أسرعت بريطانيا فى عام ١٩٠٦ فشددت قبضتها عليها وربطتها بمعاهدة حماية .

ثانيا : المسلمون فى الحبشة (إثيوبيا) وارتريا :

تقع الحبشة فى شرق أفريقيا فى منطقة القرن الأفريقى بين خطى عرض ٤° ، ١٨° شمالاً وخطى طول ٣٣° ، ٤٨° شرقاً .

ولهذا الموقع أهمية خاصة ، فهى تُعتبر بمثابة الجسر الذى يربط بين القارتين الأفريقية والآسيوية فلا يفصلها عن الساحل الأسيوى - الا مسافة ضيقة تقل عن عشرين ميلاً ، ويحدها من الغرب والشمال - السودان ، ومن الشمال البحر الأحمر، ومن الشرق والجنوب - الصومال ، ومن الجنوب كينيا[١] .

والهضبة الحبشية يتراوح متوسط ارتفاعها بين ٧,٠٠٠ ، ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر - لكن الهضبة تترك بينها وبين ساحل البحر الأحمر سهلاً ساحليا[٢] .

ونشير إلى أن اسم الحبشة (Abyssinia) اشتق من اسم قبيلة (حبشت) اليمنية ، وقد هاجرت هذه القبيلة من الجزيرة العربية قبل الميلاد بعدة قرون ، واستقرت بهذه البلاد واعطتها أسمها[٣] .ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لبداية العلاقات بين عرب شبه الجزيرة العربية والأحباش - فشبة الجزيرة العربية تواجه الحبشة ، ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ، وهو بحر ضيق ، ويكاد يلتقى ساحلاه الأفريقى والأسيوى فى الجنوب عند مضيق باب المندب ، بحيث يمكن القول إن هذا البحر كان عامل وصل بين سكان شبه الجزيرة العربية ، وسكان الساحل

(١) جمال الدين الدناصورى (دكتور) وآخرون : جغرافية العالم دراسة اقليمية (د . ت) ص ١١٥ .

(٢) فيليب رفله (دكتور) : الجغرافية السياسية لافريقيا (١٩٦٥) ص ٣٤ .

(٣) مراد كامل (دكتور) : الحبشة بين القديم والحديث (محاضرة القيت فى الجمعية الجغرافية المصرية (مارس ١٩٥٩) .

الأفريقى وما وراءه أكثر منه عامل فصل ، خاصة أن الملاحة فى البحر الأحمر سهلة متيسرة طوال العام ، فلا تكاد تهب زوابع أو أعاصير تعرض الملاحة فيه للخطر إلا بضعة أيام فى السنة .

وقد كانت للحبشة تجارة زاهرة ، إذ كانت تصدر البن ، والصمغ ، والعاج ، وريش النعام ، والأغنام ، والأبقار ، والجلود فى مقابل استيراد الارز الهندى ، والبلح ، والأقمشة القطنية ، والدخان ، والحديد وغيرها ، ولا شك فى أن العرب كانوا يلعبون دوراً هاماً فى هذا التبادل التجارى الذى كان يتم فى الغالب عن طريق المقايضة إلى أن عُرفت العملات القديمة .

وهكذا كانت للعرب معرفة ببلاد الحبشة قبل الإسلام - فلما ظهر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية - وجهر النبى ﷺ بالدعوة وجد فيها بعض العرب هدماً لما ألفوه فى معتقداتهم وخروجاً عما اعتادوا أن يعبدوه ، كما وجد بعض أغنياء قريش فى الدين الجديد تقويضاً لسلطاتهم ونهياً عن ملذاتهم التى اعتادوها - فناصبوا الرسول العداء ، ورأوا أن يوجهوا إضطهادهم إلى أنصاره عامة ، وإلى المستضعفين منهم خاصة لاسيما مواليهم الذين وجدوا فى الدعوة الجديدة مخرجاً لهم من ذل الأسر[١] .

ولما رأى رسول الله ما نزل بالمؤمنين بدعوته من إيذاء - رق قلبه لأنصاره ، وخاف عليهم أن يفتتنوا ، فأشار عليهم أن يفروا بإيمانهم ويهاجروا إلى بلاد الحبشة - فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم مخرجا مما هم فيه[٢] .

وقد هاجر إلى الحبشة عشرة رجال ، وأربع نسوة ، ثم زاد المهاجرون للحبشة ، فبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً ، وسبع عشرة إمرأه بالإضافة إلى الصبية ، وكلهم من بطون قريش ، وكان فيهم عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت الرسول ، والزبير

---

(١) ابن الإثير : الكامل فى التاريخ (بولاق ١٢٧٤هـ) جـ٢ ص ٢٤ .

(٢) نفس المرجع السابق جـ٢ ص ٢٩ .

وكذلك محمد بن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ (القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ص١٣٦ .

ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وجعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص[1]

فلما رأى أهل قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قدّ أمنوا ، وإطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً - استقروا فيما بينهم على أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشى ليخرجهم من بلاده - فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص ، ومعهما الهدايا - فلما وصلا إلى بلاد النجاشى طلبا مقابلته ، ثم قالا له «أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان من السفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين إبتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت - وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عانوا عليهم وعاتبوهم فيه[2] » .

فطلب النجاشى هؤلاء المهاجرين وسألهم عن حقيقة دينهم فتقدم جعفر بن أبى طالب ووصف له حالة العرب قبل الإسلام وبعده ، وشرح له أن دعوة الرسول ترمى إلى ترك الأوثان ، وعبادة الله والتخلق بمكارم الأخلاق ، فقال له النجاشى - هل معك مما جاء به من الله شىء - فقال جعفر نعم - فإقرأه على - فقرأ جعفر عليه صدراً من سورة مريم ، وفيها حديث عن ميلاد المسيح - فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم - ثم قال النجاشى لمبعوثى « قريش » ، « إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إتفاقًا ، فلا والله لا أسلمهم اليكما »[3] .

وقد بقى المهاجرون من المسلمين في الحبشة ، وقد أكرمهم النجاشى وأمنهم

(١) حسن أبراهيم حسن (دكتور) : تاريخ الإسلام السياسى (١٣٥٣هـ \ ١٩٣٥م) ص١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) ابن هشام ،أبو محمد عبد الملك بن هشام : كتاب سيرة رسول الله (١٣٢٢هـ) جـ١ ص ٣٥٢ .

(٣) نفس المرجع السابق ونفس الجزء ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

على حياتهم وأصبحوا فى رغد من العيش ، وقد رجع بعضهم فيما بعد إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة وأقام بعضهم فى الحبشة إلى السنة السابقة للهجرة .

واستمرت العلاقات بين الجزيرة العربية والحبشة بعد ذلك ، وأصبح العرب يترددون أكثر عليها ، واستقر بعضهم هناك ، وقيل إن أول مسلم هاجر إلى الحبشة واستقربها هو ود بن هشام المخزومى ، وكان ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب(١) .

على أن الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية أدت بعد ذلك إلى زيادة الهجرة إلى الحبشة والإستقرار بها - فالحبشة بموقعها الجغرافى وخصبها ، واعتدال مناخها ، وتنوع مواردها - كانت مغرية للراغبين فى الهجرة للعمل سواء فى الزراعة أو الرعى أو التجارة .

على أنه على الرغم من أن الصلات بين الأحباش والمسلمين - كما ذكرنا - كانت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام - طيبة وودية فقد بدأت بعض الإحتكاكات بين الأحباش والدولة الإسلامية - بعد ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب(٢) .

فالمراجع تذكر إنه فى عام ٢٠هـ أرسل الخليفة سرية من المسلمين فى البحر بقيادة علقمة بن مجزز المدلجى لمهاجمة الحبشة - ولا تعطينا المراجع تفسيراً لهذا الصدام الذى وقع بين الأحباش والعرب - لكن تذكر المراجع أن ميناء جدة تعرض لغارات الأحباش مما أضطر المسلمين لرد هذا العدوان(٣) .

وتذكر المراجع إنه فى عام ٨٣هـ - اضطر المسلمون لاحتلال جزر دهلك القريبة من مصوع وذلك لضمان مراقبة تحرك الأحباش ، وقد وجدت بهذه الجزر نقوش عربية وشواهد قبور ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجرى مما يدل على أن العرب

---

(١) زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا (١٩٦٦) ص ٥٦ .

(٢) فى السنة السادسة للهجرة أرسل الرسول إلى الملوك والأمراء - ومن بينهم النجاشى- كتباً يدعوهم إلى الإسلام ، انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٢٦هـ) جـ٣ ص ٨٩ .

(٣) ابن الأثير : مرجع سابق جـ٣ ص ٢٨٠ .

المسلمين كان لهم وجود بهذه الجزر حتى هذا التاريخ - ويبدو أن دهلك أصبحت لها اهميتها كمركز مراقبة ، وكمحطة تجارية بين شبه الجزيرة العربية والحبشة[1].

ونشير إلى أن عدداً من القبائل العربية هاجرت واستقرت فى السهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة ، وقد توالت الهجرات لهذه السهول التى كانت فى طبيعتها الصحراوية أو شبه الصحراوية شبيهة بما اعتاده العرب فى بلادهم .

وبمضى الوقت تحولت المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية أطلق عليها البعض اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية ، واطلق عليها المقريزى ممالك اسم الطراز الاسلامى[2] .

ومن الشعوب التى كونت هذه الممالك أو السلطنات البجة ، والأعفار (الدناكل) ، والصوماليون ، والجالا .

ومن أهم هذه الممالك والسلطنات - سلطنة أوفات ، وسلطنة عدل ، ومملكة فطجار ، ومملكة دوارد ، ومملكة بالى ، ومملكة داره ، وسلطنة شوا ، ومملكة هدية ، ومملكة شرخة - وقد امتدت هذه الممالك من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم أوجادين جنوباً ، ومن رأس غوردفواى شرقاً إلى أطراف الهضبة الحبشية غرباً .

وإن لم تتوحد هذه الممالك الإسلامية تحت سلطنة إسلامية واحدة - لكن ظهرت واحدة أو أخرى من هذه الممالك كقوة كبرى ، فمثلاً ظهرت مملكة شوا الإسلامية التى بلغت أوج عظمتها فى القرن السادس الهجرى .

وكانت المسيحية قد وصلت إلى الحبشة فى القرن الرابع الميلادى عن طريق مصر ، وأصبحت الكنيسة الأثيوبية تابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية (كنيسة الإسكندرية) التى تكفلت بارسال رجال الدين لها ، وقد ظلت الصلة بين الكنيسة

---

(١) Trimingham , Spencer : Islam in Ethiopia (London1992) p . 45 .

(٢) المقريزى : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشره د . رنك) ص٣ .

المصرية والكنيسة الإثيوبية إلى يومنا هذا وإن كانت قد إختلفت نوع هذه العلاقة بين الكنيستين وتطورت مع تطور العلاقة السياسية بين مصر وإثيوبيا[1] .

وقد سجل لنا التاريخ مراحل متعددة من الصراع بين ممالك الطراز الإسلامى ومملكة الحبشة المسيحية - فقد طمع الأحباش فى مد سلطانهم لهذه الممالك التى تتحكم بحكم موقعها فى منطقة القرن الأفريقى فى التجارة الخارجية عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر .

هذا ونشير إلى أن الأحباش كانوا يتابعون أخبار الحملات الصليبية الدائرة فى بلاد الشام ، وكان ملوك الحبشة يطمعون فى أن يُسهموا فى هذه الحروب ، وجرت إتصلات بينهم وبين ملوك أوروبا بهدف قيام حلف مسيحى يكون للأحباش دور فيه بمهاجمة الدول الإسلامية من الجنوب .

ولما وصل البرتغال إلى شرق أفريقيا كان من أهدافهم الإتصال بالحبشة للإتفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية - وكانت الملكة هيلانة ملكة الحبشة قد أرسلت فى عام ١٥١٠م رسولاً إلى الملك عما نويل ملك البرتغال بهدف الإتفاق على هذا العمل ، ومن ضمن ما جاء فى رسالة ملكة الحبشة إنها لا تعمل على مهاجمة المسلمين المتمركزين فى السهول المحيطة بالحبشة فحسب - لكنها أيضاً تنوى مهاجمة مكة وهى فى هذا بحاجة لمساعدة الأسطول البرتغالى الذى أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية فى المحيط الهندى[2] .

ونشير إلى أن البرتغال استجابت لهذا الطلب الحبشى والذى باركته وزكته البابوية فأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكودا جاما ، وقد مُنيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها - لكن لم تستطع القوات الإسلامية أن تُحقق نصراً حاسماً على الحبشة والقوات المؤازرة لها .

---

(١) للمزيد من التفاصيل يُرجع إلى : زاهر رياض (دكتور) : كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢) .

(٢) حسن أحمد محمود : إنتشار الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا جـ١ (١٩٨٦) ص٤٦١ .

هذا على أن القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) شهد فصلاً جديداً فى حركة الجهاد الإسلامى بين مسلمى شرق أفريقيا والحبشة ·

ففى هذه المرحلة من الصراع بين الأحباش والمسلمين ظهرت إمارة عدل الإسلامية - وبعض المؤرخين يُرجع التغيير الذى حدث إلى إنتقال السلطة فى هذه الإمارة الإسلامية بشرق أفريقيا إلى أيدى طائفة جديدة من أمراء المسلمين اتخذت لقب (إمام) ·

ومن أبرز من ظهر من أئمة هذه الإمارة فى ذلك الوقت الإمام أحمد بن إبراهيم الذى اشتهر باسم القرين أو جرين أو جراى[1] ·

وقد ولد هذا الأمام فى أحد الأقاليم بشمال هرر فى عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٠م من اب وأم صومالية ، وقد تعلم علوم الدين والفقه فى هرر حيث كانت فى ذلك الوقت من المدن الإسلامية الزاهية ، كما تعلم الفروسية وبرع فى فنون القتال وتزوج إبنة الإمام محفوظ حاكم إمارة عدل ·

وفى ذلك الوقت كانت الإمارات الإسلامية بشرق أفريقيا مفككة مما أتاح لملك الحبشة أن يُحكم قبضته عليها ويفرض عليها الولاء ودفع مبالغ من المال كدليل على تبعيتها للحبشة ··

وقد كان أحمد بن إبراهيم يعمل تحت قيادة (الجراديون) قائد إماره عدل ، فلما مات هذا القائد خلفه - أحمد بن إبراهيم وقد لُقب بالإمام لتقواه وتدينه[2] ·

وكان أول عمل قام به الإمام أحمد هو توحيد الإمارات الإسلامية الواقعة على حدود الحبشة وجمع شمل هذه الإمارات حوله ، وقد تم ذلك بعد أن نقل عاصمة دولة عدل فى عام ١٥٢١ إلى مدينة هرر ·

---

(١) يُرجع البعض هذه التسمية (القرين آو الاشول) إلى أنه فعلا كان يستخدم يده اليسرى فى القتال بمهاره فائقة ·

(٢) أفضل ما كتب عن حياه الإمام أحمد وجهاده :

عرب فقية ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان : فتوح الحبشة جزءان (نشره رينيه باسيه - مارس ١٨٩٧) ·

وكانت الحبشة فى ذلك الوقت تحت حكم الملك لبنى دنجل ، وكانت أمه الملكة هيلانه وصية عليه إلى أن توفيت فى عام ١٥٢٥ ، وكان هذا الملك الشاب يستهين بقوه المسلمين فقد هاله امتناع الإمام أحمد عن دفع الجزية التى كان يدفعها سلاطين عدل - فاستعد فى عام ١٥٢٧ لأن يُلقن هذا الأمير المسلم درساً - لكن الأمير أحمد كان قد استعد لقتال الأحباش بل لغزو بلاد الحبشة ذاتها .

وفى سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م آحرز الأمير أحمد نصراً على الاحباش فى موقعة (شنبر كورى) ، وأعقب ذلك فى عام ١٥٣١ بدخوله دوارو ، وشوه ، ومهره ، ولاستا ، واستعاد إمارات بالى ، وهديه ، وسدامة - وهكذا لم يأت عام ١٥٣٥ حتى كان المسلمون يُ يطرون على جنوب الحبشة ووسطها مما أضطر الملك الحبشى للهروب من وجه الإمام .

وكان الأحباش قد استنجدوا بملك البرتغال ليرسل لهم قوة تساعدهم فى حربهم ضد المسلمين ، وقد استجاب ملك البرتغال فعلاً فأرسل نجده للحبشة قوامها أربعمائة جندى من حملة البنادق ، كما استنجد الإمام أحمد بالعثمانيين فأرسلوا له تسعمائه من حملة البنادق وعشر مدافع ، وقد استمرت المعارك بين الطرفين ، وقد أطنب عرب فقيه فى شرح تفاصيل هذه المعارك التى إتخذت صورة حرب دينية .

ونشير إلى أن اليمن لعبت دوراً هاما فى تزويد قوات الإمام بحاجتها من العتاد والمون بالإضافة إلى النجدات التى زوده بها الأتراك من قاعدتهم فى زيلع[١] .

وكان نجاح الإمام أحمد فى إقتحام أبواب عاصمة الملك الحبشى (أمهرا) رغم تحصينها - مرحلة حاسمة فى هذا الصراع ، وقد عاد الامام أحمد بعد هذا النصر لعاصمته (هرر) للراحة والإستعداد للرحلة القادمة ، بينما هرب الملك الحبشى تاركاً عاصمته وطلباً للنجاة بحياته .

وقد توفى الملك الحبشى لبنى دنجل فى عام ١٥٤٠وخلفه ابنه كلاديوس[١] .وقد

(١) زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا (د . ت) ص ٢٥٠ وما بعدها .وكذلك محمد المعتصم : مهدى الصومال - بطل الثورة ضد الاستعمار (١٩٦٥) ص ١٦ وما بعدها .

(٢) انظر وصف عرب فقيه للعاصمة وتحصيناتها وكنائسها الفخمة :

عرب فقيه : مرجع سابق ص ١٨٩ .

طلب الملك الحبشى الجديد نجدة جديدة من البرتغال ، وقد أمده البرتغاليون بنجدة من ٥٠٠ جندى مدربين تدريباً جيداً ومسلحين بالأسلحة النارية ، كما أرسلوا له قوة بحرية إستطاعت فرض حصار على شاطىء الحبشة الشرقى لتحول دون وصول نجدات من اليمن أو غيرها للإمام أحمد الذى كانت جيوشه قد بدأت تعانى من الإنهاك بسبب تعدد المعارك ، وكثرة الذين استشهدوا من القادة البارزين فى هذه المعارك رغم ما أحرزته جيوش الإمام من انتصارات .

وقد جُرح الإمام أحمد جرحا مُميتاً فى إحدى المعارك التى شارك فيها الجنود البرتغال مع الأحباش ، وانتهى الكفاح البطولى للأمير أحمد جران الذى إستمر حوالى خمس عشرة سنة (١٥٢٨ - ١٥٤٣) ، وكان لموت هذا المجاهد أثره على جيشة الذى بدأ يتقهقر أمام الأحباش والبرتغال .

وقد اختار المسلمون ابن اخت الإمام أحمد - الأمير نور الدين بن مجاهد إماماً ليخلف خاله فى الجهاد (٩٥٩هـ / ١٥٥١م) ، واستطاع هذا القائد العربى الجديد أن يشن هجوماً ناجحاً على القوات الحبشية وقتل فى القتال الملك كلا ديوس فى عام ١٥٥٩م .

لكن استطاع الأحباش بعد ذلك أن يعاودوا الكرة معتمدين على ما أصاب القوات الإسلامية من فتور بعد مقتل قائدها الأول الإمام أحمد - وانتهى الأمر بان أُضطر الأمير نور الدين إلى اللجوء إلى حاكم مصوع التركى[١] .

على أننا نشير إلى أن جهاد الإمام أحمد قد أتى بثماره فقد أدت إنتصاراته المتتالية واصلاحاته التى عممها فى البلاد الشاسعة التى خضعت له - لازدهار التجارة واستتباب الأمن وانتشر الإسلام على نطاق واسع حتى أصبحت هرر مركزاً إسلامياً بارزاً للإسلام وتعاليمه فى شرق أفريقيا كلها ، وقد استمرت هذه الآثار الثقافية والدينية حتى بعد إنتهاء حياة هذا البطل المغوار .

---

(١) زاهر رياض : تاريخ اثيوبيا (١٩٦٦) ص ٩٧ .

ارتريا والحبشة (اثيوبيا) :

أشرنا عند الحديث عن هجرة القبائل العربية إلى الساحل الشرقى للقارة إلى أن هذه القبائل انتشرت فى السهول المحيطة بهضبة الحبشة وتركزت فى الموانى الساحلية مثل مصوع ، وبيلول ،وعصب ، واويوك ، وتاجورة ، وزيلع ، وبلهار ، وبربرة ٠

وقد ساهمت هذه القبائل فى نشر الإسلام فى المناطق التى استقرت بها ، بل وفى الحبشة ذاتها - وقد شهدت المنطقة حروباً متعددة بين حكام الحبشة وبين المسلمين المستقرين فى السهول المحيطة بها أشرنا إليها من قبل ٠

وقد دخلت الدوله العثمانية طرفاً فى هذه الحروب لتساند القوى الإسلامية خاصة حين دخل البرتغال كطرف فى النزاع لمساندة الحبشة مما أدى لأن تتخذ هذه الحروب صبغة الحروب الدينية ٠

وقد رأت الدولة العثمانية - بعد أن أصبحت القوة الإسلامية المسئولة إلى حد كبير عن صد العدوان عن العالم الإسلامى - أن تنشىء ما عُرف « بولاية الحبش العثمانية »[1] .

وقد شملت هذه الولاية سواكن ، ومصوع على الساحل الأفريقى وذلك لمراقبة حركة الملاحة فى البحر الأحمر ولتكون بمثابة (رباط) لقوة عثمانية ترقب حركة الأحباش بالذات ومن يساندهم من القوى الأوربية ٠

ويرجع الفضل فى تأسيس ولاية الحبش الإسلامية إلي أزدمر باشا الذى ولى شئون اليمن فى الفترة من ٩٥٦ إلى ٩٦٢هـ (١٥٤٩ - ١٥٥٥م) - وقد عُهد فى فترة من فترات التاريخ لوالى جدة بأمر هذه الولاية العثمانية الجديدة ٠

وقد أنيط بأمر هذه الولاية فى فترات متقطعة منذ عهد محمد على إلى والى

---

(١) عن ولاية الحبش العثمانية ، وتاريخها ، ودورها فى الآمن القومى العربى يرجع إلى : شوقى الجمل : ولاية الحبش العثمانية - بين آياله جده والإدارة المصرية ودورها فى الأمن القومى العربى (بحث قُدم فى الندوة الدولية الخاصة بمصر والجزيرة العربية فى التاريخ ٣ -٥ أبريل ١٩٩٣م (بكلية آداب جامعة القاهرة) ٠

مصر وأخيراً استقرت فى أيدى الإدارة المصرية فى عهد الخديوى إسماعيل ، لكى تدرأ عن هذه المناطق الهامة الأطماع التي بدت من الدول الإستعمارية الأوربية(١) .

على أن التدهور الاقتصادى والسياسى الذى إنتاب مصر منذ أواخر عهد إسماعيل - أتاح فرصة ذهبية للدول الاستعمارية لتحقيق أطماعها فى هذه الجهات فضغطت إنجلترا على الحكومة المصرية لإخلاء هذه الجهات(٢) .

وكانت أيطاليا بالذات - قد بدأت نشاطها فى منطقة عصب التى كانت تحت الإدارة المصرية ، وبدأ النشاط الإيطالى على يد شركة ملاحية ايطالية - شركة روباتينو (Rubbatino Steam ship Comp.)وبمساندة أحد رجال الدين الايطاليين الذى كان كثير التردد فى ذلك الوقت على الحبشة وعلى شرق أفريقيا وهو القس جوزيب سابيتو (Giusoppe Sapetto) وانتهى الأمر بإعلان الحكومة الإيطالية فى ٥ يوليو ١٨٨٢م إنشاء ما عرُف باسم مستعمرة إريتريا .

على أن إنضمام ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية - لجانب المحور كان إيذاناً بتصفية مستعمراتها فى أفريقيا .

وكانت إثيوبيا تسعى لضم إرتريا لها ، ورغم أن غالبية سكان ارتريا من المسلمين- فقد نجحت إثيوبيا فى تكوين حزب من بعض الإرتريين يُطالب بإتحاد إرتريا وإثيوبيا ، وقد شكلت الأمُم المتحدة لجنة لمعرفة رغبات أهالى إرتريا - وبناءً على تقرير اللجنة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الخامسة أن تكون إرتريا وحدة ذات استقلال ذاتى على أن تنضم مع إثيوبيا فى إتحاد فيدرالى تحت سيادة التاج الإثيوبى ، وفى ١٤ نوفمبر ١٩٦٢م تحول الأتحاد الفيدرالى إلى إتحاد كامل .

وأدى إتجاه إثيوبيا لضم إرتريا إلى قيام (حركة تحرير إرتيريا) التى تأسست فى نوفمبر ١٩٥٨م

---

(١) يرجع للبحث السابق ، والفرامانات الصادرة بإدارة هذه المناطق فى مجموعة الفرامانات الشاهانية .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى : شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٤م) .

وقد أطلق عليها جمعية السباعية لأنها فى البداية كانت منتظمة على أساس خلايا سرية كل خلية تتكون من سبعة أشخاص ، وبدأت بتنظيمات للعمال والطلبة الاريتريين فى القاهرة والسعودية والسودان ثم انتقل نشاطها إلى داخل إريتريا - وقد حددت أهدافها فى توحيد الشعب الإرتيرى ، والعمل من أجل إستقلال إريتريا ، وتشكيل حكومة ديمقراطية بعد الإستقلال .

وقد تحولت الحركة إلى ما عُرف بـ (جبهة التحرير الإريترية) ، وأعلنت الجبهة فى سبتمبر ١٩٦١م الثورة المسلحة . وقد ساندت البلاد العربية نضال الشعب الاريترى فى سبيل حقه في تقرير مصيره .

واخيراً أضطرت إثيربيا للإعتراف للشعب الإريتري بهذا الحق ، وفى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م نال الشعب الإريترى استقلاله وأختير الرئيس أسياسى أفورقى رئيساً للدولة الجديدة[١] .

ثالثا : المسلمون فى الصومال :

تمتد سواحل الصومال مسافات طويلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى - فهى تمتد من خط عرض ٢ْ جنوباً إلى خط عرض ١٣ْ شمالاً ، ويحدها شرقاً المحيط الهندى عند خط طول ٥١ْ شرق جرينتش ، ومن الغرب خط ٣٥ْ شرق جرينتش . وأهمية موقع الصومال الإستراتيجية على المحيط الهندى لا تنكر ، فيطل الصومال على المحيط الهندى بساحل طوله ١٨٠٠ كم وعرضه يصل إلى ٤٥٠ كم ويبلغ طول ساحله الشمالى المطل على خليج عدن ١٢٠٠ كم بعرض ١٧٠ كم ، ويشرف الصومال أيضاً على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر (باب المندب) وتبلغ مساحة الصومال كله حوالى ٣٢٠ الف ميل مربع[٢] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ ارتريا يرجع إلى : محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر (١٩٩٤) . والمؤلف من المناضلين فى صفوف جبهة تحرير إريتريا .

(٢) محمد عبد الغنى سعودى (دكتور): الصومال عضو جديد فى الجـامعة العربية (مجلة البحوث والدراسات العربية - العدد الخامس - يونية ١٩٧٤) .

وقد ارتبطت الأمة الصومالية بالأمة العربية منذ فجر التاريخ ، ويرجع البعض العلاقات العربية الصومالية إلى دولة سبأ ، وقد كتب عن الصومال عدد غير قليل من المؤرخين والرحالة العرب المسلمين من أمثال ياقوت الحموى ، والمسعودى ، والإدريسى ، وابن بطوطه ، والقلقشندى ، والمقريزى ، وأبى الفداء ، وابن حوقل وغيرهم .

ومنذ ظهور الدعوة الإسلامية كانت الصومال أسبق من أى دولة أخرى أفريقية أو أسيوية فى إستقبال الدعوة ، وذلك بحكم صلات الصومال القديمة ببلاد العرب ، ووجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ إنهيار سد مأرب فى عام ١٢٠م .

وكان اتجاه عرب عمان - بحكم موقعهم الجغرافى - فى نشر الدعوة الإسلامية تجاه الأراضى الصومالية وشرق أفريقيا ، كما أن إنقسام المسلمين إلى شيع فى عهد على بن أبى طالب - دفع بعض الشيعة إلى الرحيل إلى بلاد الصومال ، ولذا شهد الصومال نماذج متعددة من الفرق والمذاهب الإسلامية .

ومن أشهر دعاة الإسلام فى الصومال خلال هذه الهجرات الاسلامية[١] :

(١) هجرة سليمان وسعيد الجلنديين ، ولعلها أول حركة إستيطان إسلامية عربية على سواحل الصومال ، وكانا ينتميان لقبيلة عمانية حكمت عمان من ٧٥ إلى ٩٥هـ (٧٠٥ - ٦٨٥م) وكانت هذه هى الدعوة الأولى المنظمة للإسلام فى الصومال .

(٢) إلزيديون : وقد استقروا بمنطقة بنادر ونشروا الدعوة الإسلامية ، والبعض يرجع بنسبهم إلى أحفاد على بن عم النبى عليه السلام .

(٣) الأخوة السبعة من الإحساء : وهم من قبيلة الحارث ويرجع لهم الفضل فى إنشاء مدينة مقدشوه .

---

(١) للدراسة التفصيلية لهذه الهجرات يرجع إلى : حمدى السيد سالم : الصومال قديماً وحديثاً جـ١ (١٩٦٥) ص٣٤٩ وما بعدها .

(٤) حسن بن على وأبناؤه الستة : وهم من المسلمين الفارسيين ، وكانت هجرتهم للساحل الصومالى حوالى سنة ٩٧٥م ، وقد شيدوا عدة مساجد ومبانى على الطراز الشيرازى ·

(٥) الشيخ آبادير : وقد وصل إلى هرر فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وأصبحت بفضله قاعدة إسلامية لنشر الإسلام فى الصومال والحبشة ·

(٦) سلالة عقيل بن أبى طالب : استقروا بأرض زيلع فى مدينة (جبرت) فأطلق عليهم لفظ الجبرتية ، وكان لهم دور هام فى نشر الإسلام فى النصف الشمالى من بلاد الصومال بوجه خاص ، وفى الحبشة أيضًا ·

(٧) شيوخ حضر موت : فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وفد إلى الصومال أربعة وأربعون شيخاً عربياً ونزلوا فى مدينة بربرة ثم انتشروا منها إلى بلاد الصومال المختلفة حيث قاموا بنشر الدعوة ·

هذا ونشير إلى أنه إنتشرت فى الصومال عدة طرق صوفية من أهمها القادرية ، والصالحية والأحمدية ، والرفاعية[1] ·

وكان لأتباع هذه الطرق الصوفية دورٌ هام فى نشر الإسلام فى الصومال[2] ·

وقد ترتب على إنتشار الإسلام فى الصومال - أن ظهرت مراكز متعددة للدعوة الإسلامية لعل من أبرزها مقدشوه ، وبراوه ، ومركة ، وهرر ·

وقد سبق أن أشرنا إلى العداء الذى نشأ بين مسلمى الصومال والحبشة ، والدور الذى لعبه المجاهد الصومالى أحمد بن إبراهيم الذى اشتهر باسم أحمد جرى فى هذا المجال ·

وكما يذكر ترمنجهام - فإن مسلمى الصومال يكونون أكبر مجموعة إسلامية فى شرق أفريقيا ·

---

(١) Touval , S . : Somali Nationalism (Cambridge 1963) P . 11

(٢) Trimingham , J . S . : Islam in East Africa (Oxford 1964) P . 133

وكان من أثر إنتشار الإسلام فى الصومال ، وما تلاه من ظهور الطرق الصوفية ، واختلاط العرب بالصوماليين – أن انتشرت اللغة العربية لكن بعد أن وقع الصومال فريسة للإستعمار الأوربى كما سنوضح – عمد اتباع الإستعمار – فى محاولة لاضعاف صله الصوماليين بباقى العالم الإسلامى – لكتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية ، على الرغم من إحتجاجات المثقفين الصوماليين الذين نادوا بأن شعب الصومال المسلم يحتاج دائماً إلى دراسة الدين وقراءة القرآن الكريم بلغة الدين وهى العربية ٠

هذا ونشير إلى أنه لما بدأت أنظار الدول الإستعمارية تتجه إلى الصومال بموقعه الإستراتيجى الهام منذ منتصف القرن التاسع عشر – اتجهت مصر لمد إدارتها لهذه الجهات لحمايتها من الأطماع الاستعمارية الأوربية ٠

وطلب الخديوى اسماعيل من الدولة العثمانية أن تعهد لمصر بإدارة مصوع وسواكى لتدرأ عنهما أطماع الدول الإستعمارية التى كانت قد اتجهت لعقد معاهدات مع من استطاعت اغراءهم من رؤساء القبائل والمشايخ متجاهلة السلطات الشرعية[1] ٠

وقد سبق أن أشرنا إلى أن شركة روياتينيو الإيطالية إتبعت نفس الأسلوب لشراء منطقة فى رأس عصب وحاولت انجلترا وضع يدها على بوبره بنفس الطريقة ٠

ولذا أسرعت مصر بوضع يدها على بربره الميناء الهام المطل على المحيط الهندى والذى لا يبعد كثيراً عن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ٠

كما طلبت مصر من الدولة العثمانية إحالة ميناء زيلع الذى كان تابعاً للواء الحديدة إلى الحكومة المصرية ، وفعلاً صدر فى ٢٧ جمادى الأول ١٢٩٢هـ (أول يولية ١٨٧٥م) فرمان بذلك[2] ٠

وشكلت مصر محافظة خاصة بسواحل البحر الأحمر ، ولما كانت سلطنة هرر الإسلامية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف – فقد أرسلت حملة مصرية بقيادة رؤف باشا فتحت هرر وضمتها للإدارة المصرية ، وأبقى أميرها السابق محمد بن عبد

(١) دفتر رقم ٢١ عابدين تركى – مكاتبة رقم ٩٦ ص ٢١ فى ٧ ذى القعدة ١٢٨١هـ ٠

(٢) دفتر ٢٥ عابدين صادر ص ٢٥٦ رقم ٢٢ ٠

الشكور محافظاً لها تحت الإدارة المصرية ، وقد شكلت حكمدارية مستقلة عن حكمدارية السودان أُطلق عليها اسم (حكمدارية هرر وملحقاتها) وكان يتبعها بربرة ، وزيلع ، وهرر .

وقد قامت هيئة أركان الجيش المصرى بدراسة أوضاع هذه الجهات إلى خضعت للإدارة المصرية وتحديد احتياجاتها العمرانية ، وما تحتاجه من مستشفيات ، ومدارس وغيرها ، وبناءً على هذه التقارير قامت مصر بمشروعات متعددة لإمداد هذه الجهات بالمياه العذبة ولنشر الأمن فيها وتنظيم المعاملات وإقامة المدارس والمستشفيات وغيرها مما كفل لسكانها حياة مستقرة طوال العام فاستقروا بها بعد أن كانوا يُمارسون حياة الترحال ولا يستقر بهم المقام إلا فى فترات محدودة من العام(١) .

على أن انجلترا بالذات - لم تنظر بعين الإرتياح لسيطرة مصر على الموانى الهامة فى البحر الأحمر كزيلع ، وبربرة ، وبلهار .

وبرغم ما تكبدته الحكومة المصرية من نفقات باهظة فى تأمين هذه الجهات ، وفى تعميرها وإدخال وسائل المعرفة الحديثة بها - فقد ضغطت الحكومة الانجليزية على الحكومة المصرية لإخلاء هذه الجهات مستندة لما انتاب مصر منذُ أواخر عهد اسماعيل من تدهور إقتصادى وسياسى .

ولم يأتِ عام ١٨٨٤م حتى كانت الدول الاستعمارية قد اقتسمت أملاك مصر فى هذه الجهات فأخذ الإيطاليون بمعاونة الإنجليز - منطقة عصب كما أشرنا من قبل ، واستطاعت إيطاليا أن تتفق مع صديقتها إنجلترا فاحتلت مناطق الصومال الجنوبية ووضعت يدها على موانى براوة ومقديشو وكونّت منها ما يسمى (بالصومال الإيطالى) .

ووقع اختيار انجلترا على الجهات المقابلة لعدن على البر الثانى فأجبرت مصر

---

(١) للدراسة المستفيضة : لأوضاع هذه الجهات قبل الإدارة المصرية وما أدته الإداره المصرية بها من خدمات يرجع إلى :

شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٩٧٤م - وكذلك شوقى الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر .

على إخلاء بربره وبلهار وزيلع واحتلتها هى وكونت مأسمى(بالصومال الإنجليزى) ، واتفقت مع ايطاليا فى عام ١٨٩١ على رسم حدود منظقة نفوذ كل من الدولتين .

أما هرر فقد أجبرت إنجلترا مصر على إخلائها فى عام ١٨٨٥ وتسليمهات للأمير عبد الشكور ابن أمير هرر السابق ، ويبدو أن إنجلترا كانت تعتبر هذا الإجراء اجراءاً مؤقتاً حتى تتَاح لها الفرصة لوضع يدها عليها - لكن فى عام ١٨٨٧ زحف منليك ملك شوا على هرر واستولى عليها ولا تزال فى يد الأحباش إلى اليوم .

ولم تخرج فرنسا صفر اليدين من هذه القسمة ، فقد تذكر الفرنسيون أن فرنسياً اشترى أو على الأقل إدعى إنه اشترى من أحد مشايخ القبائل ميناء (أوبوك) فى عام ١٨٦٢ - ولم تهتم فرنسا بالأمر - لكن فى عام ١٨٨٢ حين فتحت مدافع الانجليز التى كانت تضرب الإسكندرية آذان الفرنسيين وأبصارهم إلى التغيير المترقب حدوثه فى هذه المناطق الهامة - بادرت فرنسا إلى احتلال (أوبوك) والتوسع فيها للداخل ، فإستولت على تاجوره وعلى جيبوتى وغيرها من الجهات الساحلية القريبة - وفى سنة١٨٩٦ صدر مرسوم فرنسى بضم هذه الجهات تحت إسم (الصومال الفرنسى)[١]. وبعد انتصار الأحباش على الإيطاليين فى معركة عدوه سنة ١٨٩٦ اتجهت أنظار الأحباش لإقليم الأوجادين الصومالى ، ونجحت القوات الحبشية فى السيطرة على الإقليم .

على أن أبناء الصومال لم يستكنوا للوضع الذى آلت إليه بلادهم بعد أن مزقتها أربع دول إستعمارية ، فلم تلبث أن إندلعت الثورة فى عام ١٧٩٩م وظلت مشتعلة أكثر من عشرين عاماً . وتزعم حركة المقاومة ضد الاستعمار محمد بن عبد الله حسن، وهو فى الأصل من قبيلة عربية هاجرت لهذه المنطقة فى القرن السابع الميلادى وإستوطنتها ، وقد لُقب هذا الزعيم بمهدى الصومال تشبهاً بمهدى السودان[٢] .

---

(١) للتفاصيل يرجع الى :

شوقى الجمل : الوثائق التاريخة لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٩٥٩) .

(٢) للتفاصيل يرجع الى :

Lewis , I.M . : The Modern History of Somali Land (London 1961) P . 46 .

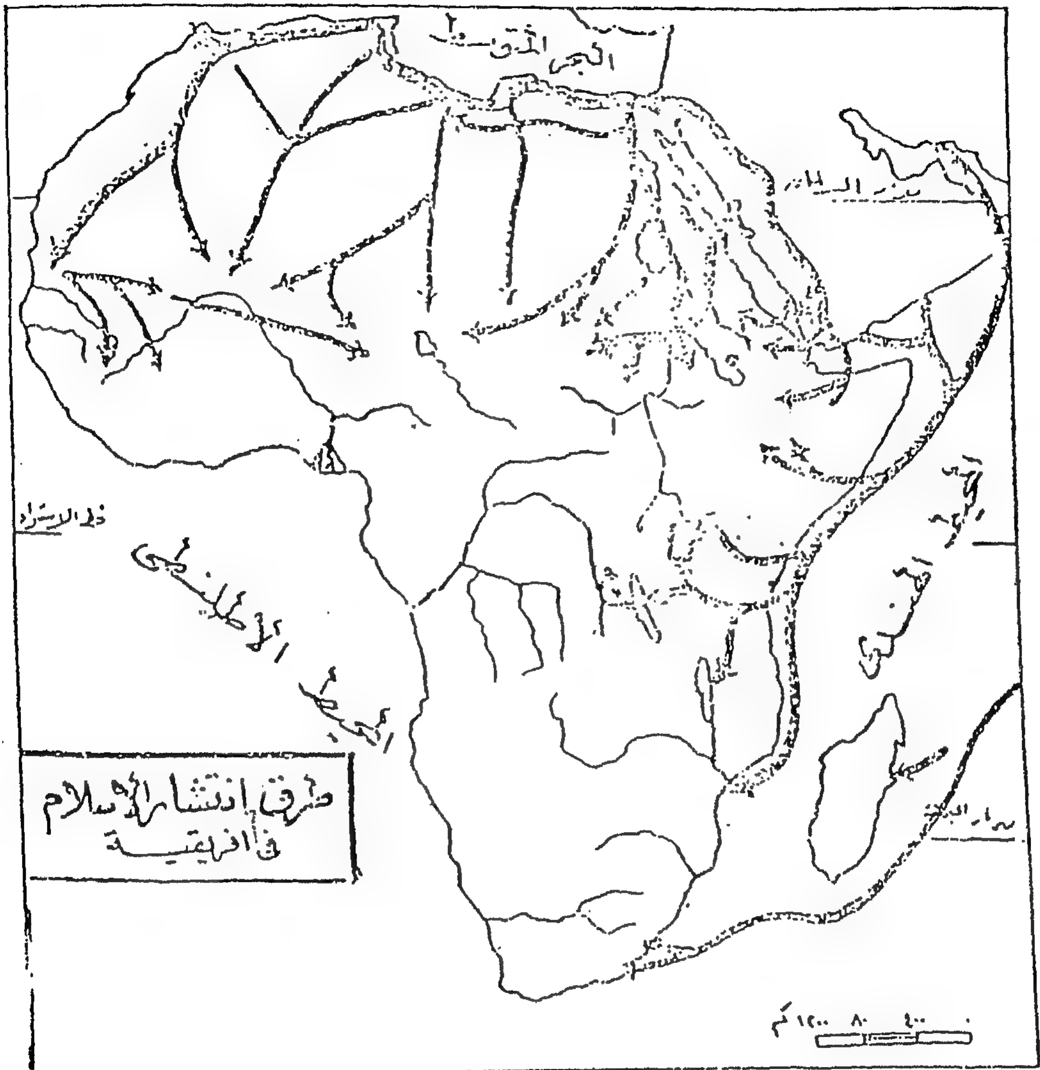
ونادى محمد بن عبد الله حسن يتكتل الصوماليين للوقوف فى وجه المستعمر ، واستطاع أن يوقع بالقوات الإنجليزية هزائم حتى لقبوه بلقب (The Mad Millah)[1] وقد أنهكت حرب العصابات التى شنتها قوات الصوماليين الثائرين - الإنجليز حتى اضطروا للجلاء عن الداخل والأقتصار على المناطق الساحلية التى تكون فى حماية السفن الحربية - وحين نشبت الحرب العالمية الأولى ، واشتبكت القوات العثمانية فى الحرب ضد الحلفاء - أعلن المجاهد الصومالى - الجهاد ضد دول الحلفاء الغربيين ، واستمر يناضل حتى انتهت الحرب ، واستطاعت قوات الحلفاء بعد ذلك أن تتفرغ لإخماد ثورة الصوماليين ، وانتهى الأمر بقتل الزعيم الصومالى فى عام ١٩٢٠م بعد أن رسم للصوماليين طريق الجهاد وحدد أهدافه ، وهى الحرية والوحدة لأرض الصومال كلها[2] .

ولا شك فى أن حركة محمد عبد الله حسن كانت خطوة هامة فى تاريخ الصومال أدت فى النهاية لقيام جمهورية الصومال المستقلة عام ١٩٦٠م .

* * *

(١) عن تاريخ حياة محمد بن عبد الله حسن يرجع إلى :
محمد المعتصم سيد (دكتور) : مهدى الصومال بطل الثورة ضد الإستعمار (د . ت) ص ٢٢ .

(٢) عن تفاصيل المعارك بين البطل الصومالى وبين الإنجليز يرجع إلى :
عبد الله المشد ، محمود خليفة (دكتور) : تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال ، وإرتريا ، وعدن والحبشة (القاهرة ١٩٥١) ص ٩٠ وما بعدها .


طرق انتشار الإسلام
في افريقية
البحر المتوسط
المحيط الأطلنطي
المحيط الهندي
٠ ٤٠٠ ٨٠٠ ١٢٠٠ كم

(شكل ١)

الفصل الثانى

انتشار الإسلام فى مصر والمغرب

كان استيلاء المسلمين على مصر عام ٣١٣هـ / ٦٤١م إيذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الأفريقيى ، وجنوباً صوب بلاد النوبة والسودان ٠

فقد توالت حملات المسلمين - بعد فتح مصر - غرباً حتى دخل الشمال الأفريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية العظيمة وأصبح يُمثل الجناح الغربى فى جسم العالم العربى الإسلامى المتكامل ٠

كما توالت حملاتهم جنوباً حتى دانت لهم ممالك النوبة المسيحية ، وسنمر سريعاً بالأحداث الهامة التى إنتهت بهذا العمل الكبير ٠

أولاً : انتشار الإسلام فى مصر :

كانت مصر فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى تحت الحكم البيزنطى ، وكان الشعب فى حالة سيئة - فمنذ استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ ق . م جعلوها مخزناً يمد روما بحاجتها من الغلال ، وقد تفنن الرومان فى جباية الضرائب ، فكانت تُجبى على الرؤوس والصناعات ، وفرض على المصرين إيواء من يمر بهم من موظفى الحكومة الملكيين والعسكريين[١] ٠

وقد دخلت المسيحية مصر على يد القديس مرقس الذى بنى أول كنيسة فى الإسكندرية حوالى عام ٦٩م - وعلى الرغم من أن المسيحية أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية منذ عام ٣٨٥م فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius

---

(١) عن أوضاع مصر قبل الفتح العربى الإسلامى - انظر :

Graftan , Milne : History of Egypt Under Roman Rule (London 1913) .

فقد إستمر إضطهاد أقباط مصر[1] إذ كان مذهب الكنيسة المصرية يختلف عن مذهب الكنيسة البيزنطية ، ولذا عانى أقباط مصر الكثير من إضطهاد الحكام البيزنطيين .

وقد ترتب على حركة الإضطهاد التى عانى منها أقباط مصر هجرة عدد كبير من المصريين نحو الجنوب ، فلجأ كثيرون إلى الصحراء والأماكن النائية وإلى أسوان وما حولها ، وأمعن كثيرون منهم فى الهجرة جنوباً ، واستقر بعضهم فى بلاد النوبة ، وقد عاش كثيرون منهم فى الأماكن النائية عيشة الرهبان وتكونت تجمعات منهم فى هذه الأماكن ، وأدى ذلك إلى قيام نظام الديرية فى مصر ، ولا يزال عدد من الأديرة المصرية فى الواحات الخارجة وفى غيرها من واحات مصر - تعُطى فكرة عن هذا النظام الفريد الذى نشأ نتيجة الضغوط التى لاقاها هؤلاء المصريين .

وقد إتجهت أنظار العرب - بعد أن أوقعوا الهزيمة بالجيوش البيزنطية فى الشام - إلى أن يتوجوا هذا النجاح بفتح مصر بما لهـا من موقع هام على البحر المتوسط ، وباعتبارها الطريق لفتح الغرب .

ومهد العرب لفتح مصر بالإتصال بالقبائل العربية إلى كانت تُقيم على حدود فلسطين وتمتد بعض بطونها إلى مديرية الشرقية بمصر ، كذلك الإتصال بالمصريين الذين لم يكونوا على وفاق مع السلطات البيزنطية الحاكمة التى كانت تُسيء معاملتهم .

وفى عام ١٨ هـ / ٦٣٩ م - طلب عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له بفتح مصر ، وظل يهُون عليه أمر فتحها ، ويُعدد له المزايا التى يجنيها المسلمون من هذا الفتح حتى أذن له الخليفة .

وسار عمرو بن العاص بجنده إلى العريش وفتحها من غير مقاومة تذكر ومنها وصل إلى مدينة الفرما وحاصرها حتى تم له فتحها وتقدم عمرو حتى وصل إلى بلبيس واستولى عليها وسار عمرو إلى أم دنين ، وطلب من الخليفة المدد فأمده بأربعة الآف مقاتل على رأسهم بعض مشاهير الصحابة هم الزبير بن العوام ، وعبادة ابن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، والقداد بن الأسود ، وتقدم صوب حصن

---

(١) حدث خلاف مذهبى بين المسيحيين فظهر مذهبان :
أ - المذهب الملكى ب - المذهب اليعقوبى الذى اعتنقته الكنيسة المصرية .

بابليون وحاصره ، وقد امتد الحصار إلى سبعة أشهر حتى طلب المقوقس حاكم الروم من عمرو الصلح ، وكتب للإمبراطور هرقل بذلك - لكن الإمبراطور رفض الصلح وأرسل قوه لتدعيم الحامية الرومانية المدافعة عن العاصمة (الاسكندرية) التى كانت قوات المسلمين تحاصرها ، ،وأخيراً أضطر المقوقس لقبول شروط الصلح التى فرضها المسلمون ، وبموجبها تقرر أن ترحل الحامية الرومانية بأسلحتها على ألا يحاول الروم إسترداد مصر مرة أخرى(١) .

وقد عامل المسلمون قبط مصر بمنتهى اللين - فخيروهم بين الإسلام أو البقاء على دينهم ، فمن اسلم منهم صار له ما للمسلمين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات ، ومن بقى على دينه فُرضت عليه جزية مقدارها ديناران على من بلغ الحلم من الرجال فقط .

ولما استتب الأمر للمسلمين بمصر نظموا الإدارة بها وعنوا عناية كبرى بالأعمال العامة الخاصة بالرى وغيره من أمور الدولة ، وقد تحسنت حال القبط فى ظل الإدارة الإسلامية ، وأمنوا على حياتهم وأموالهم وتخلصوا من ظلم الروم وإضطهادهم ، ومن الضرائب الفادحة ، والإلتزامات التى أثقل الرومان بها كاهلهم(٢) .

وكان فتح مصر خطوة هامة نحو إمتداد التيار الإسلامى إلى شمال القارة وغربها ، وإلي جنوب مصر فى بلاد النوبة والسودان كما سنوضح بعد .

* * *

---

(١) عن مراحل الفتح يرجع إلى :

Butler , Alfred : The Arab Conquest of Egypt (Oxford 1902) ;

- ويرجع لخط سير الحملة .

- وعن شروط الصلح يرجع إلى : ابن عبد الحكم : فتوح مصر (القاهرة ١٩١٤) .

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٦) .

- إتهم بعض الكتاب عمرو بن العاص بحرق مكتبة الاسكندرية ، وهذا الإتهام ثبت بطلانه ، ومن يريد المزيد عن هذه التهمة وبطلانها يرجع إلى :

حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع السابق ص ١٠٦ - ١١٨ .

- وكذلك حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى (١٩٣٥) ص ٣١٤ وما بعدها .

(شكل ٢)

ثانياً : امتداد النفوذ الإسلامى إلى المغرب :

كان استيلاء المسلمين على مصر ايذاناً بامتداد سلطانهم غربًا صوب الشمال الأفريقى ، فتوالت حملاتهم هلى هذه البلاد حتى دخل الشمال الأفريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية .

وسنمر سريعاً بالأحداث التى انتهت بهذا العمل العظيم الذى ترتب عليه أن صُبغ الشمال الأفريقى كله بالصبغة العربية وأصبح يمثل جزءاً من جسم العالم الإسلامى المتكامل(١) . ففى عهد خلافة عثمان بن عفان – أُرسلت حملة عبد الله بن سعد بن أبى السرح عامل مصر فى ذلك الوقت فأستطاعت أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج لكن تم الصلح بين الطرفين بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة .

وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان جهز جيشاً ضخما من عشرة آلاف مقاتل التقى مع البيزنطيين ، وتوغل الجيش الإسلامى فى تونس .

وفى عام ٥٠هـ / ٦٦٦م أُعطيت قيادة الجيش العربى فى الشمال الأفريقى لعقبة ابن نافع فبنى مدينة القيروان فى قلب البلاد التونسية ، وذلك ليطبع الفتح العربى بطابع الإستقرار ، فكانت هذه هى الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إسلامية بهذه البلاد(٢) .

وقد أحاط عقبة مدينته هذه بسور ، وجعل وسطها الجامع الذى نُسب إليه ، وبنى بها دار الإمارة – لكن الخليفة إستدعاه إلى الشرق .

وقد أُعيد عقبة بن نافع مرة أخرى لإمارة أفريقية فى خلافة يزيد بن معاوية ، فتدارك أمر القيروان بعد أن كان قد أصابها الإهمال ، واتجه عقبة بعد ذلك لاتمام مد

---

(١) للدراسة التفصيلية يرجع إلى :
شوقى الجمل (دكتور) : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٧م)

(٢) ولد عقبة فى أوائل الهجرة النبوية ، فعد بذلك صحابى المولد ، وقد تولى إمارة جيش افريقية مرتين .

القيروان : لفظ فارسى ، دخل فى العربية ومعناه محط الجيش ، ومناخ القافلة ، وموضع اجتماع الناس فى الحرب .

النفوذ الإسلامى إلى باقى الشمال الإفريقى فاستولى على تلمسان ، ثم على طنجه فى المغرب الأقصى وخلصها من أيدى الرومان ، وتقدم عقبة فى بلاد المغرب فوصل إلى السوس الأدنى ، والسوس الأقصى واستولى على ميناء أسفى ، ووصل بذلك إلى المحيط الأطلسى ودخل فيه بفرسه حتى بلغ الماء لب الفرس وشهر عقبه سيفه ورفع بصره إلى السماء وهو يقول « اللهم لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل الكفر حتى لا يُعبد أحد سواك»(١) .

وهكذا خضع الشمال الأفريقى كله للدولة الأمويه ، وإنتشر الإسلام فى ربوعه .

لكن ثار البربر بقيادة زعيمهم كسلة على عقبة وقتلوه فى عام ٦٣هـ / ٦٨٢م ، وقامت دولة بربرية جديدة فى هذه البلاد إستمرت حوالى ست سنوات بينما إنسحب الجيش العربى إلى طرابلس .

وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ندب أحد قواده حسان بن النعمان الغسانى لمتابعة الفتح ، واصطدمت قوات حسان بقوات البربر الذين اجتمعوا ناحية جبال أوراس تحت لواء إمرأة بربرية تدعى دهب بنت ثابت (الكاهنة) ، وقد ظنت الكاهنة أن المسلمين ، يطمعون فى ثروة مدن شمال أفريقية - فعمدت إلى تخريب المدن ، مما نفر قلوب الأهالى منها ، وقد يسر ذلك مهمة حسان وجيشه وانتهى الامر بقتل الكاهنة فى عام ٨٤هـ .

بعد ذلك دخل البربر فى الإسلام ، وكان منهم إثنى عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين ، وانصرف حسان بعد ذلك لتعمير البلاد التى خضعت له .

ولما تولى موسى بن نصير الأمر فى إفريقية سنة ٨٥هـ - أجاز مولاه طارق بن زياد إلى بلاد الأندلس فى جيش عظيم من البربر والعرب - فاجتاز البحر ونزل المكان الذى عُرف بإسمه (جبل طارق) ، وفتح الأندلس ، وقدم موسى بن نُصير بعد ذلك

---

(١) المنجى الكعبى : تحقيق ، وتقديم لقطعة من كتاب الرقيق القيروانى - تاريخ إفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨) ص٤٥ .

إلى الأندلس ليشارك فى هذا العمـــــل العظيم ، وبعد ذلك عاد إلى القيروان فالشرق .

وقد تولى الأمر فى أفريقية ولاة متعددون منهم عبد الله بن الحبحاب الذى قدم إليها فى عام ١١٦هـ ، ويذكر له فتوحه فى بلاد السوس ، والصحراء الكبرى ، وأرض السودان وإنشاء جامع الزيتونة بتونس .

وبذلك إستقرت الأمور للمسلمين فى الشمال الأفريقيى كله وأصبحت هذه البلاد تُمثل الجناح الغربى للدولة العربية الإسلامية ، وبالطبع أصبحت هذه البلاد شديدة التأثر بالأحداث المختلفة التى تعرض لها العالم الاسلامى[١] .

* * *

---

(١) ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٢٠هـ)

(شكل ٣)

قيام دول إسلامية مستقلة بالغرب العربى :

أدى الإنقلاب الذى ترتب عليه زوال دولة بنى أمية وظهور العباسيين إلى خروج الشمال الأفريقى كله من نفوذ الخلافة العباسية - فقامت به دول إسلامية مستقلة - يستثنى من ذلك تونس التى قامت بها دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ) والتى ظلت على ولائها للعباسيين :

وقد وجدت الدعوة الشيعية فى الشمال الأفريقى بيئة صالحة للظهور ، فقامت دولة الأدارسة الشيعية بالمغرب الأقصى .

ويُرجع للأدارسة الفضل فى تأسيس مدينة (فاس) واتخذوها عاصمة لهم ، كما أسسوا فى عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م - جامع القيروان الذى أصبح منارة للإسلام ومركزاً هاماً للدراسة فى العالم السلامى .

وقد ظهرت بالشمال الأفريقى دولة شيعية أخرى هى الدولة العبيدية (الفاطمية) التى ظهرت فى البداية فى الجزائر حوالى عام ٢٧٩هـ ، وانتسبت إلى فاطمة الزهراء زوجة على بن أبى طالب وابنة الرسول ﷺ .

وفى عهد المعز لدين الله - أرسل قائده جوهر الصقلى إلى المغرب الأقصى فاستولى عام ٣٤٢هـ على فاس عاصمة الأدارسة ، وسيّر المعز لدين الله قائده جوهر فى جيش كثيف إلى مصر فاستولى عليها ، وبنى مدينة (القاهرة) ، وجاء الخليفة الفاطمى المعز لدين الله للقاهرة واتخذها مقراً لحكمه .

وفى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ (ابريل ٩٧٠م) وضع جوهر الصقلى حجر الأساس للجامع الأزهر ، وقد تم بناؤه فى ١٧ من رمضان ٣٦١هـ (٢٢ يونية سنة ٩٧٢م) أى أن البناء استغرق عامين ، ومنذ ذلك التاريخ غدا الأزهر منارة للمسلمين ، ولم يقتصر أثره على الناحية الدينية بل أصبح قلعة من قلاع العلم والمعرفة يفد إليها الطلاب من شتى الديار والأقطار [٢] .

---

(١) عن تأسيس فاس يُرجع إلى :

. على بن أبى زرع الفاسى : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ١٩٧٣) .

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

- شوقى الجمل : الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا (١٩٨٨) .

- عبد العزيز محمد الشناوى - الأزهر جامعاً وجامعة - جزءان (١٩٨٣ ، ١٩٨٤) .

واستطاع الخلفاء الفاطمون بعد ذلك مد نفوذهم إلى الشام والحجاز ، واليمن وهكذا أصبحت الدولة الاسلامية منقسمة إلى :

(١) الخلافة العباسية بالمشرق – وقاعدتها بغداد

(٢) الخلافة الأموية المجددة بالأندلس – وقاعدتها قرطبة ·

(٣) الخلافة العبيدية الفاطمية بأفريقية ، ثم بمصر ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، وأصبحت قاعدتها القاهرة ·

وظهرت بعد ذلك بالمغرب الأقصى دولة المرابطين أو (الملثمين) التى أسسها يوسف بن تاشفين[١] ·

وقد زحف المرابطون على المغرب فى عام ٤٤٧هـ تحت قيادة عبد الله بن ياسين، وفى عام ٤٦٢هـ أسسوا مدينة (مراكش) واتخذوها مركزاً لدولتهم ·

وأدى إنحلال دولة بنى أمية فى الأندلس ، وانشغال الحكام بالمنازعات فيما بينهم إلى إتاحة الفرصة للأسبان للإيقاع بهم فشنوا عليهم الحرب التى أطلقوا عليها تعبير حروب الإسترداد (Reconquesta) ، فاضطر يوسف بن تاشفين للسير بجيشه إلى الأندلس فى عام ٤٧٩هـ ، حيث أوقع الهزيمة بجيوش الفونس السادس ملك قشتالة فى واقعة الزلاقه فى يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ ، وتكررت حملات يوسف بن تاشفين لنجدة ملوك الطوائف بالأندلس – كما أطلق عليهم – وأضطر أخيراً للضرب على أيدى هؤلاء الملوك وعزلهم ، وأسند إلى قائده ولاية الأندلس كما أشرنا من قبل ·

وبذلك أصبحت الإمبراطورية المغربيه المرابطية تجمع بين المغربين الأقصى والأوسط شرقاً وبلاد الأندلس شمالاً ، وتمتد إلى بلاد السودان والسنغال فى غرب أفريقيا ·

وقد خلفت الدولة الموحدية – التى أسسها محمد بن تومرت – دولة المرابطين

---

(١) أطلق عليهم اسم المرابطين – لأنهم تتلمذوا على عبد الله بن ياسين فى الرباط الذى أنشأه فى صحراء المغرب فى جزيرة بالسنغال ·

فى حكم المغرب – وقد نجح يعقوب المنصور الموحدى فى أن يُوقع الهزيمة بجيوش المسيحيين بالأندلس فى معركة (الأرك) فى شمال قرطبة فى ٩ شعبان ٥٩١هـ / يوليو ١١٩٥م وقد أعادت هذه الواقعة ذكرى موقعة الزلاقه المرابطية ٠

وقد كانت لأمير المؤمنين يعقوب المنصور – مواقع أخرى مع ملوك الأسبان وأضطرهم لطلب الصلح[١] ٠

وقد كانت دولة الموحدين بالمغرب معاصرة للدولة الأيوبية فى مصر ٠ وحين ذاع حيث الموحدين أرسل صلاح الدين الأيوبى فى عام ٥٨٥هـ يطلب من يعقوب المنصور مساعدته بالأسطول المغربى ضد الصليبين الذين كانوا يُحاصرون المسلمين فى عكا ٠

ويُقال إن يعقوب المنصور فكر فى الإستيلاء على مصر لتتم له وحدة أفريقية الشمالية من شرقها إلى غربها – إلا أن المنية عاجلته سنة ٥٩٥هـ فحالت دون تحقيق مطامعه بعيدة المدى[٢] ٠

ويرجع الفضل إلى يعقوب المنصور فى إتمام بناء مدينة (الرباط) عام ٥٩٣هـ ، وجامعها العظيم المعروف اليوم باسم (صومعة حسان)[٣] ٠

ومن آثار يعقوب المنصور بمراكش قصبتها ، والجامع الأعظم، ومنار الكتيبية ، وفى أسبانيا جامع اشبيلية وصومعه الجيرالدا الشاهقة التى تدل على عظمة الفن المعمارى فى عهد الموحدين ٠

وأدى ضعف دولة الموحدين بعد يعقوب المنصور إلى تفتيت وحدة الشمال الأفريقى ، وقيام دول اسلامية منفصلة فى أقطاره فقامت :

– الدولة الحفصية فى تونس ٠

---

(١) القرطاس – مرجع سابق ص٢٢٨ ٠

(٢) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تاريخ المغرب (١٩٤٩) ٠

(عاصر المؤلف دولة الموحدين ، وقد عالج كتابه تاريخ المغرب الكبير ، والمؤلف من مواليد مراكش فى عام ٥٨١هـ) ٠

(٣) القرطاس – مرجع سابق ص٢٢٩ ٠

- الدولة المرينية فى المغرب الأقصى .
- الدولة الزيانية فى المغرب الأوسط .

على أن هذا التفتت والإنقسام فى المغرب العربى - شجع الدول الأوربية الاستعمارية الطامعة فى هذا البلاد لأن تعمل على بسط نفوذها عليها .

فقد تعرضت البلاد العربية الإسلامية فى شمال أفريقيا للأطماع الإستعمارية البرتغالية والأسبانية ، فاستولت البرتغال على شواطىء المغرب الأقصى ، بينما استولت أسبانيا على الشواطىء من الجزائر غرباً إلى طرابلس شرقاً - فكان الأمر يستلزم وجود دولة فتية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام فى الشمال الأفريقى ، والذى لم يكن أقل خطراً من الخطر الصليبى الذى تعرضت له بلاد المشرق العربى ومصر .

وكانت الدولة العثمانية قد غدت فى أوائل القرن السادس عشر - أعظم قوة فى الشرق الأدنى وفى الحوض الشرقى للبحر المتوسط - وكانت تُمثل القوة الإسلامية الفتية خاصة بعد أن نجحت فى الإستيلاء على أملاك الدولة المملوكية فى الشام ، ومصر ، والحجاز ، واليمن فكان على هذه القوة الإسلامية أن تواجه هذا الخطر المحدق بالبلاد الإسلامية فى شمال أفريقيا ، ونجحت الدولة العثمانية فى أن تمد سلطانها إلى الجزائر وتونس وليبيا[1] .

أما المغرب الأقصى فقد كان نفوذ السعديين قد بدأ فى بلاد درعة والسوس الأقصى فكان عليهم أن يواجهوا الأطماع البرتغالية ، والأسبانية - فى وقت كانت فيه الدولة الوطاسية التى تحكم المغرب - قد وصلت إلى درجة من الضعف بحيث أصبحت عاجزة عن رد الأعداء .

---

(١) للمعلومات التفصيلية عن الظروف التى مدت فيها الدولة العثمانية نفوذها إلى الجزائر ، وتونس ، وليبيا يرجع إلى :

- عبد الرحمن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ٢ (الجزائر ١٩٥٥) .
- صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة (١٩٦٤) .
- احسان حقى : تونس العربية (د . ت) .
- جلال يحيى : المغرب العربى الكبير جـ٢ (القاهرة ١٩٦٦) .
- مجيد خدورى : ليبيا الحديثه (ترجمة نيقولا زيادة - بيروت ١٩٧٧)
- محمود الشنيطى : قضية ليبيا (القاهرة ١٩٥١) .

- وقد كانت معركة وادى المخازن بين الجيش المغربى ، والجيش البرتغالى ، وعلى رأسه الملك البرتغالى الشاب دون سبستيان (D. Sebastian) فى متم شهر جمادى الثانية ٩٨٦هـ (٤ اغسطس ١٥٧٨م) حاسمة ، فقد انتهت بهزيمة الجيش البرتغالى الغازى وفراره أمام الجيش المغربى المدافع عن بلاده ، ووجد البرتغال الجسور وقد قطعها الجيش المغربى المدافع فلم يبق أمامهم إلا الاستسلام أو الموت ، فكانوا بين مستسلم وغريق ، وكان من بين قتلى المعركة وغرقاهم سبستيان ، وابو عبد الله المتوكل الذى كان يطمع فى حكم المغرب لكن نجح عمه أبو مروان عبد الملك - المنتصر بالله - فى أن ينتزع منه الحكم فلجأ المتوكل إلى البرتغال وشجعهم على غزو المغرب فلقى مصرعه مع الملك دون سبستيان ملك البرتغال[1] .

وقد حدث أثناء معركة وادى المخازن أن توفى أبو مروان عبد الملك فتولى الأمر بعده أخوه أحمد الذى لُقب بعد هذه المعركة باسم أحمد المنصور[2] .

وقد ترتبت على المعركة نتائج هامة وحاسمة ، فقد ارتفعت سمعة المغرب ، وتغيرت نظرة الدول الأوربية لها ، أما البرتغال فقد فقدت ملكها ومعظم جيشها ، ولم يكن هناك وريث للعرش البرتغالى - فانتهز فيليب الثانى ملك أسبانيا الفرصة - فضم البرتغال وممتلكاتها الأفريقية ومنها سبته ومليله إلى ممتلكاته .

وبعد هذا الانتصار الحاسم - اتجه المنصور بأنظاره إلى بلاد السودان الواقعة جنوب المغرب فبعث أليهم جيشه فى فاتح محرم سنة ٩٩٩هـ بقيادة جؤدر باشا ، وقد بلغ هذا الجيش عشرين ألفاً بالاضافة إلى ألفين من البحرية والطبجية ، فيكون إثنين وعشرين ألفا[3] .

---

(١) عن تفاصيل معركة وادى المخازن يرجع إلى :

محمد الفاسى : معركة وادى المخازن الحاسمة (مجلة البحث العلمى التى يُصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط - العدد التاسع ديسمبر ١٩٦٦) .

(٢) يطلق البعض على معركة وادى المخازن - معركة الملوك الثلاثة - فقد مات فيها ثلاثة ملوك .

(٣) أحمد بن خالد السلاوى ، الناصرى : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤ - ١٩٥٦) جـ٥ ص ١٢١ .

ملاحظة : حين عزم المنصور على غزو السودان - جمع مجلسه الاستشارى ، وحدث نقاش حاد حول غزو هذه البلاد الإسلامية - لكن نجح المنصور فى إقنــاع المجتمعين بوجهة نظره .

وكتب المنصور إلى عمر بن محمود بن عمر قاضى تنبكتو يأمره بحض الناس على الطاعة[1] .

وقد وصل الجيش إلى تنبكتو واستولى عليها وخرج إليهم اسحق سكية ، حاكم إمارة كاغو - لكن إنهزم السودان وولوا الإدبار ، وطلب اسحق الصلح على أن يدفع للمغرب ضريبة سنوية ، وأجابه القائد المغربى لذلك وعاد بالجيش المغربى إلى تنبكتو- لكن المنصور لما علم بأمر الصلح - أرسل قائداً آخر هو محمود باشا أخو جؤدر - بقوة جديدة ، ونجح الجيش المغربى فى إيقاع الهزيمة مرة أخرى بجيش إسحق سكية ، وقد احتفل المغرب بهذا النصر ، وهكذا أصبحت كلمة المنصور نافذة فى بلاد السودان (تيكوارين ، وبورنو ، وكاغو) بالاضافة إلى المغرب[2] .

هذا وكانت وفاة المنصور فى عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٤م إيذاناً بانتهاء دور عظمة الدولة السعدية التى كانت فى الحقيقة دولة حربية - قامت للجهاد ضد الأطماع الاوربية فى الثغور المغربية .

فقد تنازع أفراد الأسرة السعدية بعد وفاته إلى أن هيأت العناية الإلهية للشعب المغربى فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه من يُنقذه ويأخذ بيديه - ففي سلجماسة كانت الدولة العلوية الشريفة قد أخذت تعمل لتمسك بدقة الأمور لتسير سفينة المغرب فى فترة هامة من تاريخه .

* * *

---

(١) الفشتالى : منهل الصفاء فى مآثر موالينا الشرفا (تحقيق د . عبد الكريم كريم مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية بالرباط) ص١٣١ .

والفشتالى : هو وزير القلم والإعلام فى دولة المنصور ، وقد قام بتدوين أخبار الدولة السعدية منذ نشأتها من مطلع القرن السادس عشر ، وهذا الكتاب الذى نشرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ملخص ، ويعتمد على النسخة المخطوطة المحفوظة بخزائن القصر الملكى بالرباط تحت رقم ٢٧٤ .

(٢) مؤرخ مجهول : تاريخ الدولة السعدية ، الدرعيه التاكمادرتية (نشره جورج كولان ١٩٣) ص٦٤ .



(شكل ٤)

الفصل الثالث
انتشار الإسلام فى بلاد النوبة
وسودان وادى النيل

أولا : انتشار الإسلام فى بلاد النوبه :

بلاد النوبة قبيل إنتشار الإسلام بها :

دخلت المسيحية بلاد النوبة عن طريق مصر - وكما سنرى بعد - إنه عن طريق مصر انتشر الإسلام بالنوبة ، وكان عدد كبير من المصريين قد هاجر للجنوب (لبلاد النوبة) بسبب إضطهاد الرومان للمسيحيين المصريين ، ويرى بعض المؤرخين أن المسيحية دخلت من مصر إلى بلاد النوبة منذ القرن الأول للميلاد على يد مصريين ممن اعتنقوا هذه الديانة من قبل ونزحوا لبلاد النوبة فى القرنين الأول والثانى هرباً من الإضطهاد الذى كان موجهاً إليهم لاسيما فى عهد تراجان ودقلديانوس .

فقد هرب المسيحيون المصريون إلى هذه المناطق الواقعة بين الشلالين الثانى والرابع حيث كانت قبضة الرومان ضعيفة ، وحيث تكثر الجزر فى النيل فيمكن للقادمين أن يجدوا بالإضافة إلى الأمان متسعاً للرزق ، وقد كُشف عن بقايا للكنائس والاديرة فى هذه المنطقة[(١)] .

ولا شك فى أنه فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين كان أفراد من النوبة قد اعتنقوا المسيحية ،على أن انتشار المسيحية فى النوبة السفلى على نطاق واسع كان فى نصف الأول من القرن السادس الميلادى فى عهد الملك سلكو(Silko) حين وفد على هذه البلاد القس اليعقوبى جوليان (Julian) ونَصّر الملك والأعيان وأدخلهم فى المسيحية على المذهب الارثوذكسى وبقى فى بلاد النوبة ما يقرب من عامين .

---

(١) Budge , E . A . Wallis : The Egyptian Sudan , Its History and Monuments Vol . 2 (LOndon 1901) P . 291 .

وفى عام ٥٦٥ وصل إلى بلاد النوبة أسقف آخر يدعى لونجينوس (Longinus) وبنى كنيسة فى دنقله العجوز تابعة لكنيسة الإسكندرية ، ويبقى هذا الأسقف فى منصبه ببلاد النوبة ست سنوات - وبذا أصبح بطريرك الإسكندرية بطريركاً لمصر ، والنوبة والخمس مدن الغربية(١) .

هذا عن النوبة السفلى ، أما النوبة العليا التى عرفت باسم (مملكة علوة) والتى كانت تمتد من الشلال الرابع إلى النيل الأزرق - فقد دخلتها المسيحية عن طريق النوبة السفلى ·

هكذا إنتشرت المسحية فى بلاد النوبة ، وكان بطريرك الأقباط بالاسكندرية يُرسل للنوبة المطارنة من مصر ·

وقد زاد انتشار المسيحية ببلاد النوبة بسبب هجرة الأقباط من مصر لبلاد النوبة إثر الغزو الفارسى لمصر ، وإضطهاد الملكانيين لأقباط مصر بعد ذلك - بعد إسترداد البيزنطيين لمصر(٢) .

ويقول أبو صالح الأرمنى - إنه كانت فى مملكة علوة ربعمائة كنيسة ودير على جانبى النيل · وقد بُنى عدد من الكنائس فى مناطق التجمعات السكانية مثل ابريم ، ودنقلة ، وفرس ، وبوهين وغيرها من الأماكن - لكن بنى أغلبها بالطين لذا إندثرت ·

كما حُولت بعض المقابر الفرعونية مثل معبد ايزيس فى جزيرة فيله إلى كنيسة ·

وكانت الصلوات والأدعية فى الكنائس والأديره بالنوبة باللغة الإفريقية - لكن أخذت الكلمات القبطية تدخل العبادات فى النوبة خاصة بعد القرن السابع الميلادى حين ضعف إستخدام اللغة اليونانية فى مصر ·

---

(١) زاهر رياض : كنيسة الاسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢) ص٤١٦ ، والخمس مدن الغربية هى مستعمرات يونانية قامت فى شمال إفريقية فى اقليم برقة ، وسُميت بالخمس مدن الغربية تميزاً لها عن خمس مدن أخرى قامت على الساحل الشرقى للبحر المتوسط فى لبنان الحالية ·

(٢) مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى(١٩٥٦) ص٦٦ ، ٦٧ ·

على أننا نشير إلى أن المسيحية فى النوبة لم تتخذ لها جذوراً عميقة فهى لم تُمثل إتجاهاً قوميًا، كما أن الكنيسة المصرية ظلت تعامل الكنيسة النوبية كطفل صغير ، وكثيراً ما كانت الظروف فى مصر تؤدى إلى إمتناع البطاركة عن إرسال مبعوثين مصريين ، فتظل الوظائف الدينية خالية وهكذا وجدت فى النوبة مملكتان[1] :

أ - مملكة النوبة السفلى (مقرة) وعاصمها دنقلة العجوز .

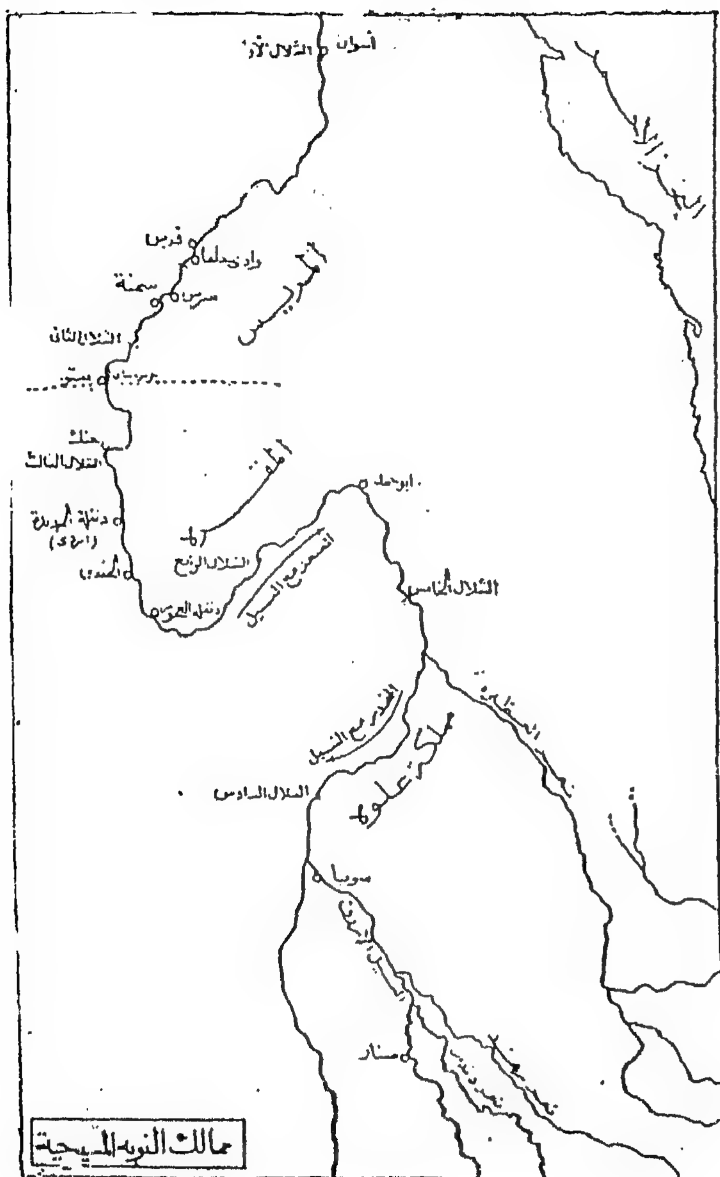
ب - مملكة النوبة العليا (علوة) وعاصمتها سوبة .

* * *

---

(١) نستقى معلوماتنا عن بلاد النوبة قبل الإسلام من مصدرين هامين :

- المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (توفى ٣٤٦هـ / ٩٥٨م) .
- عبد الله بن سليم الأسوانى : أخبار النوبة والمقره وعلوه ، والبجه والنيل .


أسوان
الشلال الأول
قرص
سمنة
الشلال الثاني
الشلال الثالث
أبو حمد
الشلال الرابع
الشلال الخامس
الشلال السادس
مملكة علوة
سوبا
سنار
ممالك النوبه المسيحية

(شكل ٥)

انتشار الإسلام والثقافة العربية فى بلاد النوبة :

لما دخل عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠هـ - ٦٤١م - أرسل عبد الله بن سعد إبن أبى السرح لبلاد النوبة - فلم يقدر على فتحها لكنه عقد صُلحاً مع ملكها ·

وقد أرسل عمرو بن العاص بعد ذلك عُقبة بن نافع أخى العاص لأمه للنوبة مرة أخرى[١] ·

وحين أصبح عبد الله بن سعد بن أبى السرح والياً لمصر سنة ٣١هـ أرسل أهل النوبة سراياهم إلى صعيد مصر فخربوا وأفسدوا فغزاهم عبد الله بن سعد سنة ٣١ وضرب دنقلة ورمى كينستها بالمنجنيق · فأضطر ملكها قليدور لطلب الصلح - وقد اشتهر هذا الصلح باسم (البقط) ، وهى كلمة فرعونية قديمة بمعنى عهد[٢] ·

ومعاهدة البقط هذه نظمت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة ، وقد ظلت سارية لأكثر من تسعمائة سنة أى حتى قيام الدولة المملوكية فى مصر ·

على أن الإسلام أخذ ينتشر تدريجياً فى بلاد النوبة بسبب :

(١) هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة ·

(٣) الأحداث السياسية فى بلاد العرب - فعندما إنتقلت الخلافة من بنى أمية إلى بنى العباس فر مروان الثانى - آخر خلفاء الأمويين لمصر مع عدد كبير من أنصاره · وانتهى الأمر بقتل مروان الثانى عند قرية بوصير - فأضطر أنصاره للتقدم جنوباً واستقر عدد كبير منهم ببلاد النوبة وكانوا من أسباب انتشار الإسلام بين سكان هذه البلاد ·

(٤) ضعف سلطة ملوك النوبة فأصبحوا لا يستطيعون حماية رعاياهم ، وفى

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان (ليدن ١٩٣٢) ص ٢٣٧ ·

(٢) عن شروط هذا الصلح يرجع إلى :

المقريزى : المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار جـ١ ص ٣٢٣ ·

- ومصطفى مسعد : الإسلام والنوبة (١٩٦٠) ص١٠٨ ·

عهد الدولة العبسية كانت فى أسوان قبائل كثيرة من العرب من قحطان ، وربيعة ، ومصر ، وقريش – وكانت لهم ضياع إشتروها فى بلاد النوبة .

ومن القبائل التى كانت فى المناطق الأفريقية الواقعة على ساحل البحر الأحمر – قبائل البجة ، وقد كانوا كثيرى الإغارة على تجار المسلمين وعلى العاملين فى المناجم فى صحراء مصر الشرقية – فأرسل الخليفة المأمون لهم جيشاً حاربهم وانتصر عليهم وعقد معهم صلحا[1] .

وقد كثر إخلال البجة بالصلح االذى عقدوه مع المسلمين حتى دخلوا فى الإسلام ولعل ذلك تم فى نهاية القرن السابع الميلادى .

وفى عهد الطولونيين والإخشيديين أُرسلت أكثر من حملة لتأديب القبائل الموجودة فى الجنوب التى كانت كثيرة الإغارة على حدود مصر الجنوبية .

وحين جاء جوهر الصقلى قائد الخليفة المغز لدين الله الفاطمى لمصر – أرسل بعثة إلى بلاد النوبة على رأسها أحمد بن سليم الأسوانى يدعو ملك النوبة للإسلام ، وقد رحب به ملك النوبة لكنه بقى على مسيحيته ، وقد ذكر ابن سليم الاسوانى أن المسلمين الذين هاجرو لبلاد النوبة واستقروا فى المنطقة من أسوان إلى الشلال الثالث لهم نفوذهم واحترامهم فى هذه البلاد وانه حضر احتفالهم بعيد الأضحى فقد ألفوا بهذه المناسبة موكباً دينياً طاف بالمدينة مع قرع الطبول ، وأصوات الأبواق[2] .

وأشار المقريزى أيضاً إلى أنه فى عهد الإيوبيين أرسل صلاح الدين أخاه تورات شاه سنة ١٨٧٣م على رأس حملة لإخضاع قبائل الكنوز الذين كانوا قد إستقروا فى اسوان وكونوا شبة إمارة بها وكانت لهم علاقات مع النوبة وذلك لأنهم ظلوا على ولائهم للفاطميين[3] .

وقد استمرت الهجرات العربية لبلاد النوبة سواء من مصر أو من شبه الجزيرة.

---

(١) عن هذا الصلح انظر :

ابن عبد الحكم : فتوح مصر (القاهرة ١٩٤٥) .

(٢) المقريزى : الخطط جـ١ ص ١٩٨ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٩٩ .

العربية بشكل منتظم وكانت هذه الهجرات تتم بطريقة لا تُثير أى اضطراب فى هذه المنطقة ، فلم يجد ملوك النوبة سبباً لمنع هذه الهجرات ، وبالطبع كانت النتيجة الطبيعة هى انتشار تيار الهجرة وبالتالى انتشار الإسلام فى هذه البلاد[1] .

وفى العهد المملوكى تعددت الحملات التى أُرسلت لبلاد النوبة - خاصة بعد أن حاول ملوك النوبة التأثير على التجارة المملوكية بتعرضهم للتجارة المارة بالصحراء الشرقية عن طريق ميناء عذاب ، وكان أحد أفراد البيت المالك النوبى ويسمى شكنده قد لجأ لمصر فأرسل معه السلطان الظاهر بيبرس جيشاًنجح فى هزيمة النوبيين وفر ملكهم داود ، ونُصب شكندة محله وعقد اتفاقاً مع المسلمين تعهد فيه بدفع نصف خراج بلاده ، وأن يدفع ديناراً ذهباً عن كل ذكر بالغ من أهل بلاده ، وقد وصلت أخبار الحملة العربية إلى مملكة علوه جنوباً فأثارت الرعب لدرجة أن ملك علوه حين لجأ إليه الملك داود يطلب نصرتة قبض عليه وأرسله إلى بيبرس حيث أُعتقل فى القلعة إلى أن مات[2] .

وهكذا أصبحت (مملكة مقره) المسيحية جزءاً من السلطنة المملوكية يدفعون الجزية للسلطان المملوكى ، ولهذا أنشأ بيبرس فى مصر ديواناً سماه « ديوان النوبة » للإشراف على جمع الجزية والخراج الخاصة بالنوبة .

وقد توالت الحملات المملوكية على بلاد النوبة كلما حاول ملوكها نقض الإتفاق المعقود منع السلطان بيبرس .

وقد أخذت جموع من عرب جهينة وغيرهم من القبائل العربية تهاجر من مصر لبلأد النوبة وأدى هذا إلى انتشار الإسلام وانتشار المساجد بهذه البلاد .

ولم يقتصر الأمر على مملكة مقرة فقد اندفعت القبائل العربية جنوباً من مصر ومن شبه الجزيرة العربية .

ومن أشهر هذه القبائل التى جاءت من شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر

(١) Trimingham , S . : Islam in The Sudan (1949) P . 617 .

(٢) أشار لشروط هذا الاتفاق :
المقريزى : الخطط جـ١ ص ٣٢٦

إلى بلاد النوبة – قبيلة الكواهلة التى تُنسب إلى (كاهل بن أسد بن خزيمة) – وقد بنى المسلمون المهاجرون مسجداً فى (سوبا) عاصمة مملكة علوه .

وقد قوى نفوذ القبائل العربية المهاجرة حتى استطاعت فى مستهل القرن السادس عشر بالتحالف مع الفونج القادمين من الجنوب أن تقضى نهائياً على مملكة علوه .

ويمكن أن نجمل العوامل التى شجعت العرب للهجرة لبلاد النوبة والتى أدت لسقوط ممالك النوبة المسيحية فيما يلى :

(١) الظروف السياسية فى مصر وفى الدولة الإسلامية عامة – شجعت على مزيد من الهجرة للجنوب .

(٢) منذ أن حكم مصر ولاة غير عرب منذ الدولة الطولونية – فضّل كثير من العرب الهجرة للجنوب .

(٣) البحر الأحمر لم يكن فاصلاً يمنع هجرة عرب الجزيرة للمناطق الأفريقية المطلة على البحر الأحمر .

(٤) حملات سلاطين مصر المتتالية على بلاد النوبة .

(٥) ضعف ملوك النوبة، وضعف الترابط بين مملكتى النوبة العليا والسفلى .

(٦) ما أصاب بلاد النوبة من تدهور إقتصادى نتيجة الحروب المستمرة .

ثانيا : انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل وتكوين سلطات إسلامية به :

هاجرت إلى بلاد النوبة – كما رأينا – عناصر عربية وانتهى الأمر بإسلام بلاد النوبة السفلى المجاورة لمصر – – وبلاد النوبة العليا الواقعة جنوبها وإندفعت العناصر العربية جنوباً على جانبى النيل .

ولم يكن هذا هو المصدر الوحيد الذى أمد بلاد سودان وادى النيل بالعناصر العربية الإسلامية فعن طريق البحر الأحمر وفدت من شبه الجزيرة العربية أيضاً قبائل عربية للسودان .

ويرى (ماك مايكل) إن مصر غذت السـودان بقبائل عربية أكثر ما وصله عن طريق الشرق عبر البحر الأحمـر – فهو يرى أن هناك أسباباً دفعت بالعرب للهجرة

بأعداد غفيرة من مصر إلى الجنوب - فى مقدمتها إنه عندما انتقل الحكم فى مصر من أيدى ولاة عرب إلى أسرات تركية غير عربية - شعر العرب بمصر بضيق فهاجروا للجنوب"، كما أن العرب جاءوا من بيئة رعويه وأنهم وجدوا فى الجنوب ما يلائم أكثر بيئتهم الرعوية الأصلية[1] .

ويعارض بعض المؤرخين هذا الرأى ، على أن المهم أن العرب وفدوا للسودان من جهات متعددة .

وأهم القبائل العربية التى وفدت للسودان[2] :

(١) ربيعة : نزلوا فى البداية فى الصحراء الشرقية واتبعوا وادى العلاقى إلى جوار النهر واندفعوا جنوباً بعد ذلك .

(٢) الجعليون : نزلوا على النيل من دنقلة حتى جنوب الخرطوم الحالية واتجه بعضهم غرباً نحو كردفان ، وقد كان لهم أثر واضح فى نشر الثقافة العربية فى السودان[3] .

(٣) جهينة : قبائل قحطانية ، وفدت إلى مصر ثم هاجرت بعد ذلك إلى السودان وانتشرت على جانبى النيل الأزرق .

(٤) الكواهلة : سكنوا المنطقة الممتدة من سواكن إلى عيذاب وانتقلوا بعد ذلك غرباً .

(٥) الفونج : قيل إنهم عرب أمويون وهم الذين أسسوا سلطنة الفونج بالسودان .

---

(١) Mac, Michael : A History of The Arabs in The Sudan (Cambridg . 1922) .

(٢) للتفاصيل يرجع إلى : محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله (١٩٥١) .

(٣) محمد ضيف الله بن محمد الجعلى (ود . ضيف الله) : الطبقات فى خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والسفراء فى السودان (١٩٣٠) .

(٦) العابدلاب : يرجع نسبهم إلى عبد الله الجماع ، وقد تركزوافى حلفاية (الخرطوم بحرى) ·

(٧) الهمج : وزراء الفونج ، وبعد فتح محمد على للسودان رحلوا إلى جبال الفونج ·

(٨) التعايشة : انتشروا فى غرب السودان ، ووصلوا إلى قرب حدود بحر الغزال ومنهم الخليفة عبدالله التعايشى ·

وقبل إمتداد التنظيمات المصرية للسودان فى عهد محمد على كانت جماعات من هذه القبائل قد نجحت فى أن تكون لها السلطة والسيادة فى مناطق معينة مما أدى لقيام دويلات وممالك وسلطنات إسلامية لها نظمها وتقاليدها ومن أهمها :

(أ) سلطنة الفونج فى سنار ·

(ب) سلطنة الفور فى دارفور ·

(جـ) سلطنة تقلى فى جبال النوبة ووديانها بجنوب كردفان ·

ويلاحظ أن العرب توغلوا فى السودان صوب الجنوب لكن لم يستطيعوا بسبب قسوة المناخ ، وقسوة مظاهر السطح بالاضافة لضراوة مقاومة العناصر الزنجية - التوغل إلى أقصى جنوب السودان ·

وسنلقى بعض الضوء على بعض هذه الممالك والسلطنات الإسلامية فى السودان التى وُجدت قبل التنظيم المصرى فى عام ١٨٢٠م ·

١ - سلطنة الفونج (سنار) :

مد الفونج سلطانهم من الجندل الثالث شمالاً حتى فازوغلى جنوباً ، كما خضعت لهم الأقاليم الشرقية حتى ساحل البحر الأحمر ، وامتد سلطانهم فى الغرب حتى إقليم كردفان ·

وقد تحدث بعض الرحالة عن التنظيمات الإجتماعية التى وجُدت فى بعض

الحواضر التابعة لهم مثل بربر ، وشندى ، وذكروا إنه وجدت بيوت مالكة فى بعض هذه الحواضر كبيت الملك نمر فى شندى[1] .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الفونج الذين استقروا فى هذه الجهات وكونوا أسرة حاكمة بها يرجع أصلهم إلى بعض القبائل العربية التى هاجرت إلى شرق أفريقيا فى القرون الثلاثة التالية لظهور الإسلام ، وتحركت إلى قرب طوكر الحالية ثم دخلت أرض الجزيرة وانتشروا فى المناطق الممتدة من الجندل الثالث إلى فازوغلى[2] .

والفونج أنفسهم يدعون أنهم من نسل الأمويين وأن استقرارهم فى مناطقهم بالسودان يرجع لعام ١٣٢هـ حين هرب مروان الثانى آخر خلفاء الأمويين لمصر .

وقد اتخذ الفونج مدينة (سنار) عاصمة لهم ، ويختار الفونج (سلطانهم) من بين رجال السلطان السابق ، ذلك بواسطة مجلس من كبار رجال الدولة - وتقام مراسيم لتتويجه .

وللسلطان وزير يلقب بسيد القوم ، كما أن لرجال الدين الإسلامى وأصحاب الطرق الصوفية مكانة خاصة فى مجتمعهم ، ويتبع سلطنة الفونج عدة مشيخات منها مشيخة العـــابدلاب ، خشم البحر ، وبنى عامر ، والحلانقة ، والشنابلة ، والجعليون ، والميرفاب ، والرباطاب ، والمناصير ، والشايقية [3] .

وقد استمرت سلطنة الفونج حتى دخول الحملة التى أرسلها محمد على السودان حين تنازل (بادى) آخر سلاطينهم عن ملكه واعترف بتبعية منطقتهم للسلطان العثمانى وسلم إدارة البلاد لوالى مصر .

---

(١) بوركهارت ، جون لويس : رحلات بوركهارت فى بلاد العرب والسودان . ترجمة فؤاد اندراوس ١٩٥٩ (نشرته الجمعية التاريخية المصرية) .

(٢) الشاطر بوصيلى عبد الجليل - معالم تاريخ سودان وادى النيل (١٩٥٥) ص ٢٣ .

(٣) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

أحمد بن الحاج أبو على (كاتب الشونة) : تاريخ مدينة سنار (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٨) .

٢ - سلطنة الفور (فى دارفور) :

ترجع هذه السلطنة إلى العرب الذين وفدوا للسودان الغربى من مراكش ، وتونس ، ومصر ونشروا نفوذهم على القبائل بغرب السودان .

ويرجح د . حسن أحمد محمود أن القبائل التى كونت هذه السلطنة- إندفعت إلى دارفور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من المغرب عبر المسالك الصحراوية التى تنحدر من طرابلس نحو الجنوب ، وأهم هجرة - من وجهة نظره - كانت نتيجة ضغط قبائل العرب الهلاليه - وأن هذه القبائل المهاجرة لم تُصبح لها مهابتها وقوتها إلا بعد أن اعتنقت الإسلام وصبغت المنطقة إلى يسكنونها بالصبغة الإسلامية الواضحة ، وقد تم ذلك فى عهد السلطان سليمان سولان[١] .

وقد زار هذه السلطنة - الرحالة محمد بن السيد عمر التونسى وتحدث عن نظام حكمهم وتقاليدهم[٢] ، فالسلطان - صاحب السلطة العليا ، وكانت السلطنة مقسمة إلى أربعة وعشرين قسماً ، على كل قسم رئيس يُعرف (بالملك) له حاشية ، والسلطان يوزع الأرض على المكوك لزراعتها مقابل الجزية السنوية .

ويعاون السلطان الوزير ، وهناك مجلس للسلطان .

وهم يعملون بزراعة الخضراوات والقمح ، والذرة والسمسم .

ولهم تجارة واسعة مع مصر . ومنذ أيام السلطان عبد الرحمن (١٧٨٥ - ١٨٠٢) أصبحت الفاشر عاصمة لهم .

ودخلت سلطنة الفورفى فى ظل الإدارة المصرية فى عهد الخديوى اسماعيل .

٣ - سلطنة تقلى :

تقع غرب النيل الأبيض جنوب كردفان - فى منطقة جبلية لكن تتخللها وديان

---

(١) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية - مرجع سابق ص ٣٢٤ .

(٢) محمد بن عمر التونسى : تشحيذ الاذهان بسيره بلاد العرب والسودان (نشرة الاستاذان خليل عساكر ، ومصطفى مسعد) .

خصبة وكان يسكنها الزنوج ، لكن اختلطت بهم قبائل عربيــة - فانتشر الإسلام بينهم ، ومن أشهر سلاطينهم المسلمين (أبو جريده) .

وقد بنى مسجداً فى سلطنته وشجع القبائل العربية على الهجرة لبلاده والإستقرار بها .

وكان لسلطنة تقلي علاقات وارتباطات مع سلاطين الفور الذين كانوا يساهمون فى إقامة المساجد وعمارتها بسلطنة تقلى .

وسلطان تقلى يتمتع فى منطقته بنفوذ مطلق لكن يعاونه الوزير ، والقاضى المسئول عن شئون الشريعة ، وكان يتبع السلطنة عدد من الملوك .

وعاصمة سلطنة تقلى هى مدينة (كومية) ولم تخضع سلطنة تقلى تماماً للإدارة المصرية إلا بعد إسترداد السودان من حكم التعايشى .

* * *

السلطنات الإسلامية
بالسودان

(شكل رقم ٦)

السودان تحت الإدارة المصرية :

أرسسل محمد على باشا فى عام ١٨٢٠ حملة للسودان على رأسها اسماعيل بن محمد على ، ومحمد بك الدفتدار صهر محمد على ، ونجحت الحملة فى فتح سنار وكردفان[١] .

وبعد هذه الحملة وضع نظام إدارى لحكم الجهات إلى خضعت للإدارة المصرية فجعل على رأس الإدارة حاكم عام (حكمدار) ، وقسم السودان إلي مديريات يخضع لكل منها عدد من النظار .

وقد حاول محمد على تكوين جيش كامل من السوادانيين - لكن ثبت عدم نجاح هذه المحاولة ولذلك لجأ إلى تجنيد المصريين .

ومن أهم ما تم فى هذه الفترة هو إنشاء وتعمير (الخرطوم) التى كانت مجرد قريه للصيادين لا يوجد بها الا عدد من مساكن الأهالى من القش (تُكلات) فتحولت إلى مدينة عامرة وأصبحت عاصمة للسودان .

وقد زار محمد على السودان فى سنة ١٨٣٨ ليشاهد الأحوال بنفسه ، ومن أهم ما تحقق فى أثناء زيارته الترتيب لرحلات البكباشى (محمد سليم قبطان) الضابط المصرى للكشف عن منابع النيل العليا ، وقد قام بها فى الفترة من ١٨٣٩ إلى ١٨٤٢ وفتحت الباب للكشف عن المنابع الإستوائية للنهر .

وفى عام١٨٥٧ زار سعيد باشا - الذى تولى حكم مصر (١٨٥٤ - ١٨٦٣) - السودان وأصدر عدة أوامر وتعليمات وهو فى الخرطوم لتطويير الإدارة وغيرها من شئون السوادن عُرفت باسم (مراسم الخرطوم) .

ولا شك فى أنه فى ظل الإدارة المصرية فى هذه الفترة إستتب الأمن فى ربوع المناطق التى خضعت للإدارة المصرية وزادت هجرة القبائل العربية للسودان واستقرارها فيه خاصة بعد أن نشطت الحركة الإقتصادية من زراعة وتجارة .

---

(١) عن خط سير الحملة وتفاصيل عملية الفتح يرجع إلى :
شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر جـ٢ (١٩٦٩)

وفى عهد اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) امتدت الإدارة المصرية إلى مناطق جديدة - فقد ضُم بحر الغزال ودارفور للإدارة المصرية .

ويرجع الفضل فى تحقيق هذا إلى جهود الزبير رحمت الذى فتح هذه الجهات ووضعها تحت تصرف الإدارة المصرية .

كما تم فى عصر اسماعيل ضم سواكن ومصوع للإدارة المصرية ، كما إمتدت الإدارة المصرية إلى بربرة ، وزيلع ، وتم فتح هرر[1] .

وفى عام ١٨٧٥م أرسلت حملة بحرية مصرية لبعض مناطق شرق أفريقية (رأس حافون ، براوة ، وقسمايو) كان الهدف منها الاستيلاء على هذه المناطق بهدف اتخاذ نقط على الساحل الافريقى تُمهد منها طُرق للداخل باعتبار أن هذا أيسر وسيلة للإتصال بالأقاليم الداخلية - لكن اعترضت انجلترا على هذه الحملة وعقدت معاهدة مع مصر فى عام ١٨٧٧م اعترفت فيها انجلترا بسيادة مصر على الأقاليم الواقعة على ساحل البحر الأحمر والساحل الأفريقى حتى رأس حافون على أن تسحب مصر حامياتها من المناطق الواقعة جنوب ذلك[2] .

كذلك كلفت الحكومة المصرية صموئيل بيكر ومن بعده غوردون بإنشاء ما أُطلق عليه اسم (مديرية خط الاستواء) وساهمت هذه الجهود فى الوصول إلى المنابع الاستوائية للنيل .

وهكذا نجحت الإدارة المصرية فى مد سلطانها إلى حدود السودان الطبيعية شرقاً وغرباً وجنوباً .

---

(١) لمعرفة تفاصيل ضم أقليم بحر الغزال ، ودارفور للإدارة المصرية - يرجع إلى : نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وجغرافينه جـ٣ (١٩٠٣) ص ٦٠ وما بعدها ، وكذلك :
Budge : Op . cit . vol . 2 . 232 .

(٢) عن تفاصيل هذه الحملات والإجراءات يرجع إلى :
شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٣)

الحركة المهدية بالسودان :

لم يستقر الأمر للإدارة المصرية فى السودان ، فمنذ عام ١٨٨٠م بدأت حركة دينية ضد الحكم المصرى العثمانى بالسودان - وتطورت الحركة .

ولم تنجح الجهود التى بذلتها الحكومة المصرية لإخمادها ، فقد سقطت الأبيض فى ١٩ يناير ١٨٨٣م فى يد قوات المهدى .

ونجحت قوات المهدى فى هزيمة القوات التى أرسلتها الحكومة المصرية بناءً على نصيحة من الحكومة البريطانية بقيادة الجنرال هكس باشا (Hicks) ، وهو ضابط انجليزى كان قد قدم من الهند . فأبيدت معظم القوة التى كان يبلغ عددها حوالى ١٠٠٠٠ رجل فى معركة (شيكان) ، وانتشرت الثورة بعد ذلك فى السودان الشرقى ، كما فشلت حملة أرسلت برئاسة الجنرال فالنتين بيكر الذى كان رئيساً للبوليس المصرى[1] .

ولما وصلت الأحوال فى السودان إلى هذا الحدأرسل غوردون (Gordon) لسحب الجنود المصريين ، والموظفين من السودان - لكن انتهت مهمة غوردون بقتله فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ وسقوط الخرطوم فى أيدى أتباع المهدى[2] .

وقد تبع سقوط الخرطوم قيام حكومة مهدية فى السودان إتخذت (ام درمان) عاصمة لها فقد كانت الخرطوم قد خربت .

وقد كان التقشف والزهد محور المجتمع الذى نادى به المهدى ، واعتقد أن هذا هو العلاج الناجح لمختلف المشكلات والحالة التى تردى إليها العالم الإسلامى - لكن مع ذلك فقد كان لابد أن يكون للدولة نظام إدارى .

(١) لتفاصيل هذه المعارك يرجع :

- Wingate , Major , F . R . : Mahdism and The Egyptian Sudan (London 1891) .

- Slatin , R. : Fer et Feu au Soudan (Traduit de L'Edition Alemande par G . Bettex - Le Caire 1899) .

(٢) عن مهمة غوردون يرجع إلى :

شوقى الجمل : تاريخ سوزان وادى النيل وعلاقاته بمصر جـ٣ (١٩٨٠) .

فقد عين المهدى أربع خلفاء على غرار الخلفاء الراشدين - وكان هؤلاء الخلفاء هم عبد الله التعايشى ، وعلى ودحلو ، والمكان الثالث خُصص للسيد محمد المهدى السنوسى وقد رفض أن يشغله والرابع هو الخليفة محمد الشريف(١) .

وقد توفى محمد أحمد المهدى فى ٢٢ يونية ١٨٨٥م - لذا كان على خليفته عبد الله التعايشى أن يسوس أمور الدولة ويضع نظاماً إدارياً لها .

وقد استعان الخليفة عبد الله فى تصريف شئون الدولة بأخيه (يعقوب) الذى كان عالماً بالقراءة والكتابة ويحفظ القرآن - فأصبح له من المركز ما كان للخليفة نفسه فى عهد المهدى .

وقد ظل الخليفة التعايشى يُدير شئون السودان حوالى ١٣ عاماً إلى أن قررت إنجلترا إرسال حملات مصرية لإسترداد السودان تحت قيادة سردار الجيش المصرى السر هربرت كتشنر (H . Kitchener) .

وقد نجحت هذه الحملات فى استرداد دنقله فى مارس ١٨٨٦ وتتابعت الانتصارات فسقطت بربر فى يد قوات كتشنر فى ٦ سبتمبر ١٨٩٧م ، وفى ٨ أبريل ١٨٩٨ حدثت معركة العطبرة و دحر فيها جيش الدراويش .

وفى ٢ سبتمبر ١٨٩٨م وقعت معركة أم درمان وهزُم جيش الخليفة وقتل اكثر من إحدى عشر ألفاً من رجاله - وبعد دخول كتشنر أم درمان قام بعمل يتنافى مع كل مبادىء الإنسانية فقد أمر بإخراج جثمان المهدى من ضريحه وأمر بإرسال رأس المهدى إلى بارنج بالقاهرة - لكن أعيدُت الجمجمة حيث دُفنت سراً فى مقبرة فى وادى حلفا .

وقد منح كتشنر لقب (لورد الخرطوم Lord Kitchener of Khartoum)وقد

---

(١) أبو سليم ، محمد إبراهيم : الحركة الفكرية فى المهدية (١٩٧٠) ص ٥٣ وما بعدها .

للدكتور أبو سليم عدد من الكتب عن ملكية الأرض فى المهدية ، والخلافة فى المهدية .

-وعن الادارة المهدية فى السودان يرجع إلى :

Holt , P . M . : The Mahdist State in The Sudan 1881 - 1899 (Oxford 1988) .

رفع كتشنر العلمين المصرى والبريطانى على سراى الحكومة المخربة بالخرطوم وفقاً لتعليمات تلقاها من كرومر[1] .

وتابع كتشنر السير فى النيل الأبيض إلى فاشوده حيث كانت قد وصلت قوة فرنسية بقيادة مارشان (Marchand) ، وقبل مارشان بعد مناقشات مع كتشر - رفع العلم المصرى على بعد ٧٠٠ ياردة من العلم الفرنسى - وأضطرت فرنسا لأن ترسل الأوامر لرجالها بالإنسحاب من فاشودة .

وبعد معركة أم درمان هرب الخليفة فى إتجاه الأبيض - وانتهى الامر بارسال حملة بقيادة الكولونيل (ونجيت) لتعقب قوات الخليفة وحلفائه ، ونجحت الحملة فى قتل الخليفة عبد الله التعايشى ، وعلى ودحلو ، والأمير أحمد فضيل ، والصديق ابن المهدى ، وهارون محمد شقيق الخليفة فى معركة (ام دبيكرات) على بعد سبعة أميال جنوب شرق أبار جديد[2] .

اتفاقية الحكم الثنائى ونظام الحكم بالسودان (١٩ يناير ١٨٩٩م) :

بعد استرداد السودان وضع كرومر ورجاله المختصون مشروع الإتفاق الذى عرف باسم (اتفاقية الحكم الثنائى) والذى وقع فى ١٩ يناير ١٨٩٩م - وقعه عن الحكومة المصرية وزير خارجيتها بطرس غالى وعن الحكومة البريطانية اللورد كرومر - لتحديد نظام الإدارة الجديدة للسودان .

والإتفاق من مقدمة واثني عشر مادة[3] .

---

(١) لتفاصيل المعارك يرجع إلى :

- Churchill , W . : The River War , An account of The Reconquest of the Sudan (London 1933) .

- Alford and Sword : The Egyptian Sudan , Its Loss ond Recovery (1898) .

(٢) يرجع إلى تقرير (Wingate) عن المعركة .

(٣) عن هذه الاتفاقية ونقدها يرجع إلى :

شوقى الجمل : سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر - مرجع سابق جـ٣ الفصل السابع .

وقد وضعت السلطات التنفيذية والتشريعة ، والقضائية فى يد (حاكم عام للسودان) أشترط أن يعينه الخديوى بعد أخذ رأى الحكومة البريطانية ، وأن يُرفع العلمان البريطانى والمصرى فى جميع أنحاء السودان ، وألا تسرى القوانين المصرية على السودان والا تسرى سلطة المحاكم المختلطة على السودان .

وقد كان هذا الاتفاق العجيب والنظام الغريب الذى وضع السلطة كلها فى يد إنجلترا - فلم يكن اشتراك مصر فى الادارة والحكم الإصرياً - موضع نقد وإعتراض من المصريين - فقد اعترض عليه الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل - كما نقدته بشدة الصحف الفرنسية[1] .

وظل معمولاً بهذه الاتفاقية حتى عام ١٩٢٤ حين إنفردت انجلترا بإدارة السودان رسمياً - بعد مقتل سردار الجيش السيرلى ستاك فى القاهرة فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ — فأمرت انجلترا بإنسحاب الجيش المصرى والوطنيين المصرين من السودان وانفردت انجلترا بالإدارة واستمر ذلك الوضع كذلك حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وانجلترا فتقرر العودة للعمل باتفاقية ١٨٩٩م ، فأعيدت وحدات من الجيش المصرى إلى السودان وأعيد بعض الموظفين المصرين .

الحركة الوطنية السودانية :

شعر السودانيون بالغبن الواقع عليهم نتيجة الإدارة البريطانية لبلادهم .

وقد تمثل رد فعل السودانيين فى المنشورات السرية التى انتشرت على نطاق واسع فى مختلف أنحاء السودان، ثم تطور الأمر فاتخذ شكل جمعيات أدبية(كجمعية الاتحاد السودانى) و (جمعية اللواء الأبيض)[2] .

---

(١) لم يعين طوال مدة سريان العمل بالاتفاق مصرى واحد حاكماً عاماً للسودان .

(٢) سليمان كشة : اللواء الأبيض (الخرطوم ١٩٦٩) - ولتفاصيل الأحداث يرجع إلى :

- حلمى جرجس غبريال : موقف الإدارة فى السودان من الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين (رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة القاهرة- ١٩٧٦) .

- عبد الكريم السيد : اللواء الأبيض ، وثورة ١٩٢٤ (الخرطوم ١٩٧٠) .

وقد تعددت المظاهرات والإصطدام بين الوطنيين السوادنيين والسلطات الحاكمة - ومن هذه المظاهرات مظاهرة طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم فى اغسطس ١٩٢٤م ، ومظاهرة فرقة السكك الحديدية يعطبره فى ٩ اغسطس ١٩٢٤م ، ومن الشخصيات الوطنية التى برزت فى هذا المجال شخصية على عبد اللطيف الضابط السودانى .

وقد لجأت السلطات البريطانية لقمع هذه الحركة التي وصلت فى عام ١٩٢٤م لثورة عنيفة ، واعتقلت السلطات الشخصيات السودانية البارزة - وعمدت هذه السلطات البريطانية لإلغاء الوجود العربى فى السودان - إذ اتهمت المصريين بالسودان بالتحريض على هذه الإنتفاضات - ووجدت بريطانيا فرصة سانحة لتحقيق مآربها فى مقتل السير لى ستاك - كما ذكرنا .

اتفاق الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان :

ظلت المفاوضات بين مصر وبريطانيا مستمرة بخصوص جلاء الجيوش البريطانية نهائياً عن مصر ، وقضية السودان منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذى اعترفت فيه انجلترا باستقلال مصر مع تحفظات أربعة - منها الوضع فى السودان .

وكانت المفاوضات عادة تتحطم أمام صخرة السودان لإصرار انجلترا على أن تُبقى على وضعها فيه[١] .

وقد عرضت مصر فى عام ١٩٤٧م قضية السودان على مجلس الأمن ، فقد تقدمت بعريضة إلى المجلس مؤرخة ٨ يونية ١٩٤٧م ذكرت فيها إن احتلال القوات البريطانية غير المشروع لمصر سنة ١٨٨٢م ، واحتلال الجزء الجنوبى من وادى النيل أى السودان بعد ذلك - مكّن حكومة المملكة المتحدة منذ سنة ١٨٩٩م من أن تفرض على مصر اشتراكها معها فى إدارة السودان[٢] .

---

(١) عن المفاوضات بين مصر وبريطانيا يُرجع إلى :
محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية (القاهرة ١٩٥٢) .

(٢) يُرجع إلى : بيانات حضرة صاحب الدولة محمد فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن - مطبوعات رئاسة مجلس الوزراء المصرى (اغسطس ١٩٤٧) .

وإن إنجلترا إنتهزت وجودها فى السودان لبذر بذور التفرقة بين المصريين والسودانيين ، وعرض النقراش باشا رئيس وزراء مصر القضية أمام مجلس الأمن - لكن المجلس لم يُصدر حكماً ينصف مصر وينهى مشكلة الوجود البريطانى فى السودان .

ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فى مصر - رأت الثورة أن تحل قضية السودان قبل حل قضية الجلاء - واتجهت حكومة الثورة فى مصر اتجاهاً جديداً فقد رأت حكومة الثورة أن بريطانيا تتستر خلف حق السودانيين فى تقرير مصيرهم بأنفسهم لتجد من ذلك حجة لإستمرار سيطرتها على دفة الحكم والإدارة فى السودان وتشوه صورة المصريين فى أعين السودانيين - لذلك قدمت حكومة الثورة فى مصر فى نوفمبر ١٩٥٢م للحكومة البريطانية مذكرة توضح فيها إيمان مصر بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم وأن مصر ترى تمكين السودانيين من إختيار نوع الحكم الذى يرونه .

ولم تجد انجلترا بُداً من الدخول فى مفاوضات مع مصر بشأن السودان - وترتب على ذلك توقيع الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٢ فبراير ١٩٥٣م على اتفاق بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان[١] .

وانتهت الاجراءات التى أتُخذت لتحقيق هذا الاتفاق إلى إصدار مجلس النواب السودانى قراراً فى ١٩ ديسمبر١٩٥٥م يقضى باستقلال السودان وقيام الجمهورية السودانية ، وأُنتخبت جمعية تأسيسيه لتضع الدستور النهائى للسودان ، وفى ٣١ ديسمبر ١٩٥٥م أقر البرلمان السودانى الدستور وأصبح نافذاً من أول يناير ١٩٥٦م .

وأعلنت مصر على الفور اعترافها بالسودان المستقل عضواً فى جامعة الدول العربية ، وفى ١٢ نوفمبر أصبح عضواً فى هيئة الأمم المتحدة .

الإسلام فى السودان فى ظل المتغيرات السياسية السابقة :

منذ القرن السابع الميلادى بدأ الأسلام يدخل فى السودان بواسطة القبائل العربية التى هاجرت إلى هذه المنطقة الأفريقية .

---

(١) نص الاتفاق موجود فى : جمهورية مصر العربية - السودان ص٢٠٠ وما بعدها .

وقد كان شيخ القبيلة عند وصوله للسودان يضع قبيلته تحت حماية حاكم من الحكام الوطنيين وكانت هذه العلاقة - عادة تتوطد بالمصاهرة حيث يتزوج شيخ القبيلة بنت الحاكم الوطنى ، وفى حالات كثيرة ينتقل الحكم من بيت الحاكم الوطنى إلي نسل شيخ القبيلة العربى من بنت الحاكم .

على أن الإسلام بدأ ينتشر فى السودان على نطاق واسع بتدفق الهجرات الإسلامية - لكن من دراسة النظم التى كانت سائدة فى الممالك والسلطنات الإسلامية التى كانت قائمة فى السودان قبل الحكم المصرى تتضح لنا عدة حقائق :

(١) فى مجال الحكم لم يكن الشرع هو أساس الحكم إنما كانت هناك قوانين عُرفية سائدة .

(٢) وقد بقيت العقائد الموروثة تُمارسَ على نطاق واسع حتى بعد إعتناق الإسلام .

(٣) انتشر الإسلام بعد ذلك على نطاق واسع على يد أهل التصوف ، وارتبط هؤلاء عند العامة بأنهم يستطيعون بما لهم من كرامات فعل أشياء خارقة للعادة[١] .

على أنه كان من نتائج الفتح المصرى للسودان إنتشار الإسلام فى مناطق بعيدة كانت مغلقة أمام الدعوة الإسلامية قبل الفتح ، كما وفد للسودان عدد من رجال الدين والعلماء ورجال الأزهر بالذات ، وكان لهؤلاء أثرهم الفعال فى نشر التعاليم السليمة للإسلام - كما أن الإدارة المصرية فى السودان كانت فى حاجة لطبقة متعلمة لتصريف الشئون الإدارية فعمدت لإرسال بعض أبناء السودان بغرض الدراسة فى الأزهر .

على أن الثورة المهدية حين قامت فى السودان - قامت على أساس فكرة المهدى المنتظر الذى جاء ليخلص البلاد من جور الحكام الأجانب ولإعادة الدين إلى ما كان عليه أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين - وقد كانت فترة المهدية - كما رأينا قصيرة - لكنها بلا شك وضعت الجذور الأولى للقومية السياسية .

على أنه بعد استرداد السودان اتجهت انجلترا إلى سياسة محاربة الطرق الدينية - جماعة الأنصار بالذات ، كما اتبعت ما عُرف (بسياسة الجنوب) فاغلقت المديريات

---

(١) أشار لذلك بوضوح : ود ضيف الله : كتاب الطبقات.

السودانية الجنوبية في وجه الشماليين وفى وجه الإسلام والثقافة العربية بالذات ، وبالمقابل شجعت إنتشار اللغة الانجليزية والديانة المسيحية واللهجات والعادات المحلية .

ولما احتجت الحكومة المصرية على هذه الإجراءات - أنشأ الانجليز عام ١٩٠١م ما يسمى (بمجلس العلماء) من سبعة أعضاء من أئمة المساجد وقضاة المحاكم المعينين من قبل الحكومة ، وذلك لخلق ما يمكن تسميتة (الإسلام الرسمى) لمواجهة (الإسلام الشعبى) وامتدت جهود الإدارة الاستعمارية الرامية لتأمين كيانها والحفاظ على مصالحها بإبطال فعالية الإسلام السياسية(١) .

وقد كان لهذه السياسة الإستعمارية دورها فى المناهج والكتب المستخدمة فى المدارس السودانية وفى السياسة التعليمية(٢) .

لعل السؤال الذى يفرض نفسه علينا هو :

إلى أى حد سار القضاء السودانى حسب الشريعة الإسلامية :

فى الحقيقة شهد القضاء فى السودان تطورات تبعاً للتطورات السياسية .

ففى سلطنة الفونج كان القضاء يسير حسب الشريعة الإسلامية ، وكان المذهب المالكى هو المذهب السائد - لكن لا شك فى أن التقاليد القبلية كان لها دورها .

وبعد فتح محمد على باشا للسودان - أُنشئت المحاكم الشرعية التى كانت تُطبق المذهب الحنفى - لكن كانت المجالس تختص بالقضايا الجنائية والمدنية وانتهى الأمر بأن اقتصر إختصاص المحاكم الشرعية على الأحوال الشخصية .

وفى عهد المهدية سارت المحاكم على الشريعة الإسلامية وكانت تتقيد بالمنشورات التى كان يُصدرها المهدى ، وبعد استرداد السودان ، وقِعت بين الحكومتين المصرية والانجليزية فى ١٩ يناير ١٨٩٩م اتفاقية الحكم الثنائى .

---

(١) للمزيد من التفاصيل انظر :

مدثر عبد الرحيم (دكتور) : الإسلام والسياسة فى السودان - بحث مقدم فى المؤتمر الأول لحماية الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم (٢٩ محرم - ٢ صفر ١٤٠٣) ٢٧ - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢م .

(٢) Muddathir Abdal - Rahim : Imperialism and Nationalism in the Sudan (Oxford 1969) p . 91 .

وقد نصت المادة الرابعة من هذه الاتفاقية على أن الحاكم العام من سلطته تغيير وإصدار القوانين واللوائح على أن يُبلغ الحكومتين البريطانية والمصرية بما يصدره من قوانين ومنشورات .

كما قضت المادة الخامسة على عدم سريان القوانين والقرارات المصرية على السودان - إلا إن صدر بها منشور من الحاكم العام[1] .

ويلاحظ أن القوانين التى أصدرها الحاكم العام ، والقوانين التى عملت بها المحاكم فى السودان - بإستثناء ما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وميراث - مستمدة من القانون الإنجليزى ومن قوانين الولايات الهندية .

وبعد استقلال السودان كوُنت لجنة لمراجعة القوانين فى محاولة لتعديل القوانين السارية لتمشى مع قواعد الشريعة الإسلامية .

ويلاحظ أنه فى دستور ١٩٦٨م نص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى لقوانين الدولة ، كما نُص على أن للدولة أن تُصدر من التشريعات ما تعدل جميع القوانين التى تعارض أى حكم من أحكام الكتاب والسنة .

وقد حدثت مراجعة للقوانين على مراحل - ففى الثالث والعشرين من مايو ١٩٧٧م صدر القرار الوزارى رقم ٢٣٦ بتشكيل لجنة لمراجعة القوانين واعادة النظر فيها .

هذا ونشير إلي أن التعليم فى السودان أيضًا - شهد تطوراً حسب المتغيرات السياسية التى مرت بالسودان .

(١) ففى العهد الإسلامى المبكر - بعد انتشار الإسلام فى شمال السودان فى القرن السادس عشر الميلادى - اتخذ التعليم النمط الإسلامى التقليدى - وهو دراسة القرآن الكريم ، ويقوم بهذا العمل (الفكى) داخل الخلوة - ولما كان عددالخلاوى محدوداً فإن عددا قليلاً من الأطفال كانوا يجدون أماكن للدراسة .

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :
حسين المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان (د . ت) .

(٢) وبعد أن إمتدت الإدارة المصرية للسودان (١٨٢١ - ١٨٨٥) استمرت الخلوة فى أداء رسالتها - لكن فى سنة ١٨٥٣ فتحت أول مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، كان يدرس فيها التلاميذ القرآن الكريم ، واللغة العربية ، والتركية ،والحساب[1]

كما سمحُ لبعض الإرساليات التبشيرية بفتح مدارس لها بالسودان ٠

(٣) وفى فترة حكم المهدية (١٨٨٥ - ١٨٩٨) - عادت الخلوات لنشاطها - واضمحل شأن المدارس الأخرى ٠

(٤) وفى عهد الحكم الثنائى (١٨٩٩ - ١٩٥٣) زاد عدد مدارس التعليم الأولى ، وأنشئت مدارس صناعية فنية لتدريب طبقة من الصناع المهرة ، ثم أنشئت المدارس الوسطى لتدريب مدرسى المدراس الأولية ، ولتخريج طبقة من الموظفين لسد إحتياجات الإدارة الحكومية - كما استأنفت الإرساليات التبشيرية نشاطها فى مجال التعليم ٠

ومن المدارس التى أُنشئت مدارس وادى حلفا ، وسواكن ، وواد مدنى ، وفى عام ١٩٠٢م أُنشئت مدرسة ابتدائية بأم درمان التحق بها مائة وعشرون طالباً من السودانيين ، كما أفتتحت خمس مدارس ابتدائية أخرى فى جهات مختلفة من السودان ٠

وفى عام ١٩٠٢م افتتح اللورد كتشنر كلية غوردون التذكارية ، وقد بدأت فى أول الامر كمدرسة ابتدائية ثم افتتح بها قسم ثانوى فى عام ١٩١٣م ، وفى عام ١٩٤٢م تحولت المدرسة الثانوية إلى كلية جامعية ٠

وقد قامت بعض الجمعيات الأهلية المصرية بالمساهمة فى أمر التعليم بالسودان فأفتتحت فى عام ١٩١٦م كلية الأقباط بالخرطوم ، وأفتتحت بها مدرسة البنات القبطية ٠

وقد ساهمت الحكومة المصرية بعد ذلك بنشاط واضح فى التعليم بمختلف مراحله ، كما فتحت جامعة القاهرة لها فرعاً بالخرطوم ظل ينمو وتضاعف عدد

---

(١) عن المدرسة الابتدائية بالخرطوم انظر :

Hill , Richard : Egypt in The Sudan 1820 - 1885 (London 1959) P , 87 .

الطلاب السودانيين الملتحقين به وكان لهذا التطور الثقافى أثره فى نمو الحركة الوطنية والوعى القومى[1] .

ولم يحظ تعليم البنات فى السودان بنصيب كبير إلا فى وقت متأخر .

ونشير إلى أنه فى عام ١٩٢٢م صدر قانون المناطق المقفولة الذى خولّ الحاكم العام سلطة إعلان أى جزء من السودان منطقة مقفولة يحرم دخولها على الأجانب والسودانيين .

وهذا القانون لم يهدف إلى إبعاد الشماليين عن الجنوب وحسب ، بل كان يهدف أيضاً إلى أيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال حيث كانوا يتجهون للعمل فيه .

وقد ترتبت على هذا القانون نتائج بعيدة الأثر أثمرت أخيراً مشكلة الجنوب التى مازال السودان يعانى من آثارها .

* * *

---

(١) عن تطور التعليم يرجع إلى :
محمد محجوب : الحركة الفكرية فى السودان (الخرطوم ١٩٤١) .

الفصل الرابع

انتشار الإسلام فى غرب افريقيا

وقيام الحركات الإصلاحية فى هذه البلاد

مر الإسلام فى انتشارة بين شعوب غرب أفريقيا فى ثلاث مراحل :

(١) المرحلة الأولى من عام ٢٠هـ - ٤٤٣ / ٦٤٠ إلى ١٠٥٠م .

(٢) المرحلة الثانية من عام ٤٤٣هـ - ١١٦٤هـ / ١٠٥٠ إلى ١٧٥٠ م

(٣) المرحلة الثالثة من عام ١١٦٤هـ - ١٣١٨ / ١٧٥٠ إلى ١٩٠٠ م

المرحلة الأولى ٢٠هـ - ٤٤٣ / ٦٤٠ - ١٠٥٠م :

تم فى هذه المرحلة فتح المسلمين لشمال أفريقيا فانتشر الإسلام فيها ، ومن شمال أفريقيا أخذ ينتشر جنوباً إلى السودان الغربى - جنوب الصحراء الكبرى[1] .

وقد خضعت قبائل البربر للمسلمين ودخلت فى الإسلام وانضمت لجيوش المسلمين وساهمت فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا بل تعدت أفريقيا لأوربا .

ومن القبائل التى لها شأن فى نشر الإسلام فى غرب أفريقية قبائل الطوارق أو الملثمين وقد كانت هذه القبائل منتشرة فى نطاق واسع يمتد من النطاق الجبلى الذى يخترق شمال أفريقيا من الشرق إلى الغرب - من غدامس جنوب طرابلس إلى المحيط

(١) أطلق تعبير بلاد السودان على منطقة فى عزب أفريقيا تكاد تكون محدودة تحديداً واضحاً من الغرب والجنوب يحدها المحيط الاطلنطى ، بينما حدودها الشرقية ليست واضحة بهذا الشكل ، وفى الشمال تذوب هذه الحدود فى الصحراء - انظر :

Trimingham, j. Spencer : Islqm in West Africa (Oxford 1964) p. 1.

الأطلسى غرباً ، وكانوا ينقسمون بدورهم إلى عدة قبائل من أشهرها قبيلة لمطة ، وقبيلة لمتونة ، وقبيلة جدالة ، وقبيلة مسوفة[1] .

وكانت هذه القبائل تعمل بالتجارة فأصبحت حلقة الإتصال بين المغرب بشعوبه وحضارته وثقافته وبين المحيط الزنجى الواقع إلى الجنوب والذى يمتد شرقاً حتى بحيرة تشاد .

وتلعب التجارة دوراً هاماً فى نشر الإسلام والثقافة العربية فى غرب أفريقيا حتى أن (ارنولد) يذكر إن التجارة والإسلام فى غرب أفريقيا مرتبطان كل الإرتباط[2] .

فعلى الرغم من العقبات الطبيعية التى كانت تعوق الوصول إلى قلب القارة - فقد كانت هناك مراكز تجارية بمثابة (الموانى) يتطلع إليها المسافرون عبر الصحراء حيث يجدون نبض الحياة فيستريحون ويستبدلون الجمال الضعيفة المنهكة بغيرها ليستطيعوا مواصلة الرحلة ، وبها يحدث التبادل التجارى ، وكانت بحيرة تشاد نفسها حلقة هامة فى هذه السلسة من طرق الاتصال ، فالنيجر ينحنى انحناءة عظيمة صوب الشمال ليقرب من حافة الصحراء ، وهذه الصحراء لا تتصل بساحل المحيط إتصالاً مباشراً - لكنها تترك سهلاً ساحلياً يجعل الاتصال عبره ممكناً بين الجنوب والشمال ، وعبر هذا الطريق إتصل سكان شمال أفريقيا (المغاربة على وجه الخصوص) منذ أقدم العصور بالسهل الخصب الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، وكانت التجارة من أهم دوافع الإتصال بين الإقليمين - وكان للمغاربة دور هام فى هذه التجارة ، وكان ملح الطعام الذى يستخرج من مناجمه الواقعة جنوب المغرب الأقصى - من السلع الهامة التى يحتاج إليها الزنوج وغيرهم من شعوب المنطقة الواقعة جنوب الصحراء ، هذا بالإضافة إلى النحاس ، والمنسوجات ، والزمرد ، والعقود ، والحلى .

وكانوا على استعداد لمبادلة هذه السلع بالذهب والمحاصيل الأفريقية الرعوية أو

---

(١) حسن أحمد محمد : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا - مرجع سابق ص ٢٠٢ وما بعدها وكذلك .

Bovill , E . W . : The Golden Trade of The Moors (Oxford 1961) .

وقد ترجمه للعربية د . زاهر رياض تحت عنوان : الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا واثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى (أنظر الفصل الرابع) .

(٢) توماس ، أرنولد : الدعوة إلى الإسلام (مترجم - القاهرة ١٩٥٧) ص ٣٧١ .

الاستوائية التى وجدت طريقها إلى البحر المتوسط وأوربا على يد التجار المغاربة على وجه الخصوص ، ويكفى أن نذكر أن هذه البلاد إنفردت لفترة طـويلة بثروتها الذهبية ، فقد كانت المصدر الرئيسى لذهب العالم إلى أن أكتشفت مناجم أمريكا الجنوبية والهند وجنوب أفريقيا[1] .

وانتشر الإسلام إنتشاراً سريعاً وهادئا – دون اللجوء للعنف عبر هذه الطرق التجارية الممتدة من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى أو على طول المحيط الأطلسى إلى بلاد السنغال وأعالى النيجر ومنطقة بحيرة تشاد ، وكان للتجار المسلمين دور كبير فى هذا المجال .

فقد كان التجار المسلمون فى تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج ، ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصى وأمانتهم ونظافتهم ، وكثيراً ما انتهى هذا الإحتكاك بدخول كثيرين من هؤلاء الزنوج فى الإسلام ، وعدد غير قليل من هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والعلم – فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن الكريم أو للعبادة ، وقاموا بمزاولة النشاط التعليمى والدعوة لإتباع مبادىء الإسلام بجانب نشاطهم التجارى ، ولذا تركز الإسلام على الخصوص من المبدأ فى المراكز التجارية الهامة والمدن ثم تسرب منها إلى المناطق البعيدة .

وهكذا دخل الإسلام إلى كثير من بلدان غرب أفريقيا فى ركاب التجار وكنتيجة لنشاطهم ، وانتشر بعد ذلك أكثر بانتشار نفوذ المسلمين ، فقد أصبح الإسلام – كما يقول ترمنجهام – بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح فى أفريقيا الغربية[2] .

ومن أهم أحداث هذه الفترة ظهور المرابطين فى القرن الحادى عشر – ففى مستهل هذا القرن قام يحيى بن إبراهيم – شيخ قبيلة تهامه – بعد عودته من تأدية فريضة الحج بالبحث عن شيخ فاضل يعاونه على تعليم رجال قبيلته أصول الدين ، وقد وجد فى عبد الله بن يس الشخص الذى يليق بهذا العمل .

---

(١) Fage : An introduction To The History of West Africa (Cambridge 1955) P . P . 9 - 1o .

(٢) Trimingham : op . Cit . P . 28

وكرس عبد الله نفسه لهداية الناس - وقد لجأ عبد الله بن يس مع لفيف من تلاميذه إلى جزيرة فى نهر السنغال حيث بنوابها رباطاً وأسلموا أنفسهم فيه للعبادة . وفى عام ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م قاد عبد الله بن يس أتباعه ، وكان قد أطلق عليهم (المرابطين) فى حركة نشطة لدعوة القبائل المجاورة للإسلام .

وزحف المرابطون على المغرب فى عام ٤٤٧هـ - تحت قيادة عبد الله بن يس فوصلوا تافيلالت ، وفى العام التالى غزوا السوس ، ثم فتحوا تادله ، وبذا دان لهم جنوب المغرب ، وواصلوا بعد ذلك مسيرتهم بقيادة يوسف بن تاشفين الذى أظهر براعة عسكرية وقدرة على التنظيم العسكرى ، وفى عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩ أسس يوسف بن تاشفين مدينة (مراكش) لتكون مركزاً للدولة ، فأخذت تزدهر وأمها رجال العلم والأدب والفن من كل صوب ، ومن أهم آثار المرابطين بها جامع ابن يوسف ويعتبر المعهد الثانى فى المغرب بعد جامعة القرويين[1] .

وبعد أن أتم الأمير يوسف بن تاشفين تنظيم جيشه - توجه إلى مدينة فاس فإستولى عليها ثم إستولى على طنجه سنة ٤٧٠هـ واتجه بعد ذلك نحو المغرب الأوسط فسقطت مدنه الواحدة تلو الأخرى فى يده .

ولما بلغ يوسف بن تاشفين هذه الدرجة ، وذاع صيته فى العالم الإسلامى -- استنجد به ملوك الطوائف بالأندلس - فسار إليهم وتقابل مع جيوش ألفونس السادس ملك قشتاله فكان انتصاره حاسماً فى واقعة الزلاقة يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ .

وقد اضطر يوسف بن تاشفين للعودة إلي بلاد الأندلس مرة أخرى لتخليص المسلمين من خطر الإنقسام الداخلى - وبعد أن هزم العدو المهاجم - ضرب على أيدى ملوك الطوائف وعزلهم وأسند إلى قائده (سرين أبى بكر اللمتونى) ولاية الأندلس - وبذلك ضُمت بلاد الأندلس إلى الامبراطورية المغربية المرابطية التى أصبحت تجمع ما بين المغربين الأقصى والأوسط شرقاً وبلاد الأندلس شمالاً ، وتمتد إلى بلاد السودان والسنغال جنوباً .

(١) هناك خلاف حول تاريخ تأسيس مدينة مراكش ؛ وقد ناقش عبد الله عنان هذا الأمر - انظر عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤) ص ٣٨ ، ٣٩ .

وقد انتهى أمر دولة المرابطين فى المغرب بسقوط عاصمتهم فى يد الموحدين فى عام ٥٤١هـ / ١١٤٧م ·

المرحلة الثانية من ٤٤٣هـ إلى ١١٦٤هـ :

فى هذه المرحلة الهامة - دخل فى حظيرة الإسلام - العديد من قبائل الصحراء الغربية ، وقامت فى السودان الغربى ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية - فقد انتشر الإسلام فى البلاد التى يرويها نهرا السنغال والنيجر ·

ومن هذه الممالك - مملكة غانة ، وكانت تشغل الرقعة من الأرض بغرب إفريقيا التى تقع عند الطرف الجنوبى لطريق القوافل عبر الصحراء الكبرى الممتدة من سجلماسه فى بلاد المغرب ماراً بتغازاً التى اشتهرت بمناجم الملح ·

واشتهرت غانة بالذهب - وقد ذكر محمود كعت إنه كان بمدينة غانه العاصمة إثنا عشر مسجداً[١] ، وذكر عبد الرحمن السعدنى - إنه عاش بغانا كثير من العلماء ورجال الدين والأدب ، وطلاب العلم وكانت العربية لغة التعامل ليس بين المسلمين فحسب بل وفى جميع أنحاء الإمبراطورية ، وحاضرة غانة هى كومبى[٢] ·

وقد بدأ الضعف يدب فى مملكة غانة منذ عام ١٢٠٣م - حتى استطاع جيش أحد الأقاليم التابعة لها - وهو اقليم صوصو أن يهاجم العاصمة واستولى عليها وضربها حوالى عام ١٢٤٠م - فاضطر مسلمو غانة للفرار إلى (ولاته) شمال كومبى ، وأصبح هذا المكان الجديد مركزاً للحياة الإسلامية فى الصحراء الكبرى[٣] ·

مملكة مالى :

منذ أواسط القرن الحادى عشر كان الإسلام قد أخذ ينتشر بين أفراد الأسرة الحاكمة فى مالى وقد اعتنق ملك مالى الإسلام فى عام ١٠٥٠م ، وأدى فريضة الحج

---

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان ، والجيوش وأكابر الناس (ترجمة هوداس ، وديلافرس باريس ١٩١٢م) ·

(٢) عبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان ، نشره وعلق عليه هوداس ·

(٣) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بغرب أفريقيا (١٩٦٦) ·

وتبعه خلفاؤه الواحد تلو الآخر – ومنذ عام ١٢٣٥ بدأ نجم مالى يظهر ، وضمت إليها عدة أقاليم مجاورة .

فقد ضمت إقليم مالى ، وصوصو ، وإقليم غآنة ، وبلاد تكرور – وكانت هذه الأقاليم ممالك مستقلة لكنها اندمجت فى مملكة واحدة ، وأصبحت مالى إمبراطورية إسلامية ضخمة بغرب القارة الأفريقية(١) .

ومن أشهر حكام مالى السلطان منسى موسى ، وقد ذاع صيته فى العالم الإسلامى – إذ ارتبط اسمه برحلة الحج الطويلة التى قام بها إلى بيت الله الحرام عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٤م في ركب قيل إنه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج – فمر بـ (ولته) ، و (توات) ، و(سرتة) على شاطىء البحر المتوسط فى برقة واتجه منها مساحلاً إلى أن وصل إلى القاهرة – وذلك فى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد ابن قلاوون .

والذين تحدثوا عن هذا الموكب يعطون لناصورة لعل فيها بعض المبالغة – لكنها لا تخلو من حقيقة ، فقد أحاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والإسراف فى مصر ؛ وكانت معه كميات كبيرة من الذهب الخام – حتى قيل إنه لم يدع أميراً من أمراء المماليك فى مصر ، ولا رب وظيفة سلطانية إلا وصله بحمل من الذهب ، كما أفاض فى هباته على الفقراء فى الأراضى الحجازية ، ومنح عن سعة حتى قيل إن قيمة الذهب إنخفضت إنخفاضاً ملحوظاً لكثرة ما أنفقه .

ومن طريف ما ذُكر عن بعثة الحج هذه إن سلطان مالى فى طريقه إلى الحج بعث برسالة إلى سلطان المغرب يخبره فيها إن موكبه سيمر من الطريق المحاذى . ساحل البحر المتوسط ، فأصدر السلطان المغربى أوامره بحراسة السلطان المالى أثناء إجتيازه الصحراء ، ولبست المملكة حلة الزينة لإستقبال ضيف المغرب الذي أحاطت به مظاهر الأبهة والبذخ وحمل معه أحمالاً من الهدايا قدمت إلى الحضرة بفاس وتركت آثارها فى نفوس المغاربة الذين كانوا ينظرون إلى القادمين نظرة الإحترام والتقدير ، وعندما

---

(٤) أطلق بعض المؤرخين على مملكة (إمبراطورية) مالى إسم مملكة التكرور أو مملكة التوكولور ،مع أن التكرور – كما ذكرنا إقليم من أقاليمها . ابن خلدون: العبر جـ٥ ص ٥ .

إنطلق الموكب من مالى إلى تلمسان صحبته كوكبة من الخيالة المغاربة الذين كانوا يحملون أوامر بمضاعفة مظاهر الحفاوة عند المرور ببجاية وتخوم تونس ، ووصل الموكب مصر حيث وجد الملك المالى - عاهل الجركسى يفاتحه فى موضوع إقامة صلات تجارية وسياسية بين البلدين يجب إخفاء أمرها عن المغرب - لكن الحديث بين الملكين بلغ فاس .

ولا يطيل المؤرخون فى الحديث عما جرى بعد ذلك - لكن الظاهر أن ملك مالى أكد لملك المغرب بعد عودته - بأن الحلف الذى سبق أن عُقد بين المملكتين - المغرب ومالى - لن يتأثر ، كما أن الحاكم المصرى نفسه سعى بعد ذلك بكل الوسائل لتأييد حسن نواياه تجاه المغرب[1] .

ولم تكن مظاهر الكرم - الذى صاحب رحلة العاهل المالى للحج مقصورة على القاهرة - فقد أنفق المال بسعة فى كل مكان ذهب إليه ، وحدث ذلك أيضاً فى أثناء زيارته المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما .

وقد ذكر المؤرخون إن منسا موسى - لما رجع ثانية إلى القاهرة كان قد أنفق كل ماله ، ومع ذلك فقد ظل متمسكاً بجميع مظاهر الأبهة - وأضطر للإقتراض من أحد تجار الاسكندرية ، وقد صحب هذا التاجر هو وولده إلى مالى ليسترد دينه ، وقد توفى هذا التاجر الثرى فى مسوفة ، ودفع منسا موسى ما كان عليه إلى ولده الذى انصرف عائداً إلى مصر[2] .

وقد مات منسا موسى عام ١٣٣٢ بعد حكم دام خمساً وعشرين سنة ، وبعد موته بدأ الانقسام يدب غى عظام الإمبراطورية فقد تولى أمرها خلفاء تعوزهم القدرة .

ومن الامبراطوريات الاسلامية الهامة التى قامت بالسودان الغربى :

إمبراطورية سنغاى .

وقد قامت هذه الإمبراطورية فى النيجر الأوسط ، وشعب السنغاى - شعب

---

(١) العمرى : مسالك الأبصار ص ٩٤٣ وما بعدها
وابن الوردى : ذيل المختصر فى أخبار البشر ص٢ ص ٢٧٥ .
(٢) عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ١٠٩

زنجى وكان الإســــــلام قد دخل هذه البلاد فى القرن الحادى عشر واعتنقه ملوكهم .

ومن أهم مدنهم (جاو) الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر ، و (جنى) التى اشتهرت كمركز للعلم ، وكسوق تجارى .

وقد خضعت سنغاى لسيادة مالى فترة من الزمن - لكنها تحررت بعد ذلك ونمت وازدهرت ، ومن اشهر ملوك سنغاى اسكيا محمد الكبير (١٤٩٣ - ١٥٢٨) وقد ذهب للحج فى صفر ٩٠٢هـ / ١٤١٦م .

وقد نجح هذا الحاكم فى مد سلطانه إل (كانو) . ولم يحظ موكب حجه بما حظى به موكب منسا موسى من شهرة - لكن إشتهر اسكيا محمد بتشجيعه للعلماء ، وقد ذاعت فى عهده شهرة (تنبكتو) ، ومعهد سنكورى الدينى ، وكذلك معاهد العلم التى أفتتحت فى جنى ، وجاو .

ومن أبرز رجال العلم الذين قربهم إليه - العالم محمد المغيلى التلمسانى وهو من العلماء الذين برزوا فى السودان الغربى فى القرن الخامس عشر ، وقد توفى فى حوالى عام ١٥٠٤م - وقد انتهت فترة حكم أسكيا محمد فى سلطنة سنغاى بثورة أبنائه عليه فى عام ١٥٢٨م ونفى إلى جزيرة نائية .

ومن حكام سنغاى اسكيا إسحق (١٥٨٢ - ١٥٩١) - وفى أثناء حكمه أرسل السلطان أحمد المنصور - سلطان المغرب حملته للإستيلاء على تنبكتو وإخضاع سنغاى لسلطانه[1] .

ومن إمبراطوريات غرب أفريقيا الإسلامية - إمبراطورية كانم وبرنو وقد شملت إمبراطورية كانم فى أوج مجدها رقعة واسعة فى غرب القارة تمتد من نهر النيجر غرباً إلى النيل شرقاً ، وقد استمرت امبراطورية كانم قائمة فترة إمتدت من القرن الثامن

(١) للتفاصيل عن حملة المنصور السعدى يرجع إلى :
- السعدى : تاريخ السودان (نشر هوداس باريس ١٨٩٨) .
- محمود كعت التنبكتى : تاريخ الفتاش - مرجع سابق .

الميلادى إلى القرن الثالث عشر ، وبدأ الضعف بعد ذلك يدب في أوصالها فأصبحت جزءاً من برنو بعدأن كانت برنو خاضعة لها .

وقد اعتنق حكام كانم الإسلام منذ أوائل القرن الحادى عشر مما أكسب دولتهم أهمية كبرى .

أما امبراطورية برنو - فقد ازدهرت فى القرن السادس عشر ، واشتهر من حكامها ماى إدريس علومة (١٥١٧ - ١٦٠٢) وقد بذل جهداً مشكوراً فى تعمير المساجد فى بلاده ، ودعم الروح والمبادىء الإسلامية فيها .

وقد ظلت مملكة برنو قائمة حتى هاجمها الفولة وانتزعوا أقاليم الهوسا التى كانت تابعة لهم وأخظعوها لدولتهم.

أما المرحلة الثالثة - لإنتشار الإسلام فى السودان الغربى :

فتمتد من منتصف القرن الثامن عشر الميــــلادى إلى أوائـــــل القرن العشرين (١٩٦٤هـ - ١٣١٨) وبعد ذلك ندخل فى المرحلة المعاصرة .

وتتميز المرحة الثالثة هذه بنشاط المصلحين الدينيين لنشر تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة فى غرب القارة ، وأضطروا فى سبيل ذلك لمحاربة الذين وقفوا فى وجه هذه الموجة الإصلاحية .

ومن أشهر هؤلاء عثمان دان فوديو ، وأحمد لوبو ، ومحمد الأمين الكانمى ، وعمر الفوتى التكرورى ، الإمام صمودو .

ويلاحظ إنهم جميعاً أفارقه اعتنقوا الإسلام وتفقهوا فيه ، وجاهدوا فى سبيل نشره وتنقيته من الشوائب التى علقت بالممارسات التى أداها بعض المنتمين للإسلام الذين لم يتخلصوا من آثار الوثنية وغيرهم .

عثمان دان فوديو :

يعطى الشيخ دان فوديو - مؤسس الإمبراطورية الفولانية التى استمرت بغرب أفريقيا ما يقرب من مائة عام - مثلاً قوياً للحركات الإصلاحية التى قامت فى العالم

العربى عامة ، وفى إغرب أفريقيا بصفة خاصة للعمل على إعادة مجد الإسلام ، ونشر مبادى الدين الصحيح ، وتطبيق أحكام الشريعة .

وكما رأينا فإن الإسلام انتشر فى السودان الغربى عن طريق التجار المسلمين من الشمال الأفريقى وغيره .

وكانت لحركة المرابطين أثرها فى إقامة دولة إسلامية شملت المغرب ، والسودان الغربى ، والأندلس ، وكان للمرابطين الفضل فى الدعوة للإسلام بين القبائل الزنجية الوثنية التى تقطن الصحراء ، وفى عهد المرابطين تأسست مدينة تنبكت ، وانتشر الإسلام إلى مدينة جنى ، كما إقتفى الموحدون أثر المرابطين فى نشر الدعوة الإسلامية .

وقد ترتب على تدفق الهجرات العربية على شمال أفريقية ، وضغطها على قبائل الطوارق (الملثمين) إلى حركة هذه القبائل صوب الجنوب وانتشارها بين القبائل الزنجية مما أدى لنشر الإسلام ، وتكوين مراكز إسلامية متعددة فى الصحراء الغربية انبعث منها نور الإسلام ، ووصل إلى نهرى السنغال والنيجر ، ومن القبائل التى انتشر بينها الإسلام - قبائل الفولانى (الفوله) . ومن أشهر عشائرهم عشيرة (الطرونكه) التى ينتمى اليها عثمان دان فوديو[١] .

ولد عثمان بن فودى فى ماراتا (Marata) فى عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٤م .

ونشأ فى أسرة متدينه ، عدد كبير من أفرادها يشتغل بالوعظ والتدريس ، فنشأ نشأة دينية خالصة[٢] .

وقد تلقى دروسه الأولى على يد أبيه محمد فودى[٣] .

(١) عن أصل قبائل الفولانى - يرجع إلى :

- مصطفى مسعد : الإسلام ، وحركات الفولانى الإصلاحية فى غرب أفريقية (بحث بمجلة جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الأول ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .

- كذلك محمد بلو : انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور (مطبعة الأزهر ١٩٦٤م) .

(٢) آدم عبد الله الألورى : الإسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١) ص٩٣ - ٩٥ .

(٣) كلمة فودى بالفولانيه تعنى الفقيه .

وكذلك تلقى العلم عن والدته حواء ، وجدته رقيه ، ودرس الإعراب ، والفقه ، التفسير عن عدد من الشيوخ والفقهاء والعلماء ، وعرف مبادىء الطريقة القادرية فأصبح من أقطابها .

وقد هاله حال المسلمين فى بلاد الهوسا فمنهم من يخالط الوثنين دون تحرج ، ومنهم من يقلدهم فى سلوكهم[١] .

فعزم الشيخ عثمان على محاربة هذه البدع ، وتعريف هؤلاء القوم بتعاليم الإسلام الصحيحة .

وبدأ جهاده بالدعـوة إلى الدين السـليم ومبادئه بالحسنى والموعظـة الحسنة، واحتمل مشاق الأسفار فى سبيل الدعوة ، وجاهر بمبادئه الإسلامية السليمة، كما ألّف العديد من الكتب والشروح لتوضيح المبادىء الصحيحة - ولعل الوثيقة التى عُرفت (بوثيقة أهل السودان) توضح أهم المبادىء التى نادى بها[٢] .

وقد اتجه الشيخ عثمان للتأليف فى الفقه، والتفسير ، وأصول الدين ، والأدب والشعر، والدعوة للتمسك بالأخلاق والمُثل العليا ثم الدعوة للجهاد فيما بعد[٣].

وأغلب كتبه ومقالاته وأبحاثه مازالت مخطوطة ، وإن كان بعضها قد طُبع[٤].

---

(١) عن الطريقة القادرية وغيرها من الطرق الصوفية يرجع إلى :
عبد الله عبد الرازق إبراهيم : أضواء على الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية (١٩٩٠) .

(٢) الهوسا : ينتمون إلى الجنس الزنجى رغم أنهم يتكلمون لغة حامية ، والهوسا يمثلون خليطاً من شعوب انتمى إلى أصول مختلفة ، ويمتد الإقليم الذى يتركز فيه الشطر الأكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة من زارية إلى كتسينا ، وسكوتو فى شمال نيجيريا اليوم ، ويقدر عددهم بخمسة ملايين ونصف المليون نسمه وهم يدينون بالإسلام - انظر : (عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية (١٩٦١ م) ص١٩ .

(٣) لتوضيح ما جاء بهذه الوثيقة يرجع إلى :
Bivar , A . D . D . H . : Wathigat AhL - AL Sudan (Journal of African History vol . 11 No . 2 - 1961) .

(٤) تناول الدكتور محمود سمير أحمد محمد التابعى بالشرح التفصيلى ، والتحليل هذه الكتب - فى رسالته التى قدمها للماجستير بمعهد البحوث والدراسـات الأفريقية بجامعة القاهرة (١٩٧١م) تحت إشراف د . شوقى الجمل .

ومن أهم كتبه :

١ - كتاب إحياء السنة وإخماد الفتنة :

والأصل مخطوط بمكتبة جامعة إيبدان بنيجيريا تحت رقم ١٨٦ ·

وقد قامت لجنة من علماء الأزهر الشريف بمصر بتحقيقه ونشر فى عام ١٣٩١هـ (١٩٦٢م) ·

٢ - بيان وجوب الهجرة على العباد ، وبيان وجوب تنصيب الإمام ، وإقامة الجهاد· مخطوط بمكتبة الآثار بكدونا تحت رقم ٨٢ / ٥٣ - ويشتمل على ٨٦ ص ·

٣ - حصن الأفهام من جيوش الأوهام ·

مخطوط بمكتبة ايادان بنيجريا - من إثنين وسبعين صفحة ·

٤ - سراج الأعوان فى أهم ما يحتاج إليه فى هذا الزمان :

مخطوط بمكتبة ايادان بنجيريا - يحتوى على أربعين صفحة ·

٥ - إحجام المفكرين فى الزجر عن البدع والأهواء ·

طُبع هذا الكتاب بمطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م) ·
وتوجد نسخ منه بالهيئة العامة للكتاب بمصر تحت رقم ٢٩٥٤٠ ·

٦ - أصول الدين :

مخطوط من ثمان صفحات بمكتبة ايادان بنيجيريا ·

٧ - هداية الطلاب :

مخطوط بمكتبة ايادان بنيجيريا ·

٨ - الفرق بين ولاية أهل الإسلام ، وأهل الكفر :

نُشر بمجلة معهد الدراسات الشرقية بالدراسة مجلد ٢٣- عدد ٣ لعام ١٩٦٠م ·
ص ٥٥٨ - ٥٧٩ ·

٩ - تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان :

مخطوط بمكتبة ايبادان بنجيريا - فى ١٧ ص ، وقد قدم (هودجيكين) مُلخصاً لما تناوله الكتاب[١] .

١٠ - تعليم الإخوان بالأمور التى كفّرنا بها ملوك السودان

مخطوط بمكتبة إيبادان - فى خمسة وعشرين صفحة .

١١ - الأمر بموالاة المؤمنين ، والنهى عن موالاة الكافرين :

مخطوط فى مكتبة إيبادان فى ٨ صفحات .

١٢ - نصيحة أهل الزمان :

مخطوط فى سبعة فصول - بمكتبة إيبادان .

١٣ - أصول الولاية :

مخطوط فى اثنين وعشرين صفحة - مكتبة ايبادان .

١٤ - أجوبة محررة عن أسئلة مقررة :

مخطوط عبارة عن ثلاثة عشر فتوى فى أمور الدين بمكتبة ايبادان .

١٥ - ضياء السياسات ، وفتاوى النوازل فى فروع الدين من المسائل[١] .

وليست هذه كل أبحاث ، ومقالات الشيخ عثمان - فله عدد آخر من المقالات فقد دأب على الوعظ ، والتدريس ، ودعوة الناس للتمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة .

وقد كثر أتباع الشيخ ومريديه الذين إلتفوا حوله - مما أوغر صدور الحكام فى إمارات الهوسا ، إذ خافوا على ملكهم من الضياع خاصة أن الشيخ فضح تصرفاتهم التى تتعارض مع تعاليم الإسلام .

وتعرض الشيخ وأتباعه لكثير من صنوف الأذى ، مما أدى لأن يدعو فى عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٤م - أتباعه للهجرة معه لأطراف الصحراء إلى مدينة (جودو) على حدود إمارة حوبير .

---

(١) Hodgkin , T . : Nigerian Prepectire (London 1960) P . P . 190 , 192 .

وتطورت الأحداث بعد ذلك وأدى ذلك أتباعه لمبايعته على إطاعة الله ورسوله والجهاد معه فى سبيل الله ، فبايعوه أميراللمؤمنين فأصبح يُلقب (بأمير المؤمنين) .

وقد بايع الشيخ عدد من اتباعه منهم أخوه عبد الله ، وابنه محمد بلو ، وعدد من تلاميذه ومريديه .

وإختار الشيخ أفراداً من أتباعه ليقوموا بمهام خاصة، وليعاونوه فى جهاده . وقد بدأ الشيخ عثمان فى تشكيل جيش يستعين به على مواجهة الوثنيين[1] . وكانت هذه البيعة ، وتلك التنظيمات التى بدأها الشيخ بداية لإصطدامه بمعارضيه وفى مقدمتهم أمير جوبير .

وتعددت الإصطدامات بين أتباع الشيخ وقواته وبين قوات أمير جوبير ، وتُسجل لنا المراجع العربية والأجنبية أخبار هذه الوقائع والإصطدامات .

وقد نجحت قوات الشيخ فى أن توقع الهزيمة بأمير جوبير ، وأن تضم عدة مدن هامة تحت سلطانه منها كتسينه ، وكانو ، وزارية ، وهادية ، وادموا ، وجزء من برنو .

وقد استعصت العاصمة (الكلوه) على الفولة لفترة - لكنها سقطت أخيراً فى يد محمد بلو بن الشيخ عثمان[2] .

واستنجد حكام برنو بمحمد الأمين الكانمى الذى أمدهم بقوة عسكرية كبيرة نجحت فى وقف تقدم قوات الشيخ عثمان - لكن لم يأت عام ١٨١٠ حتى كان الشيخ عثمان قد أخضع معظم بلاد الهوسا ووحدها تحت سلطانه ، واتخذ لإداراتها مدينة (سوكوتو)[3] . وقد قسم هذه المناطق التى خضعت له إلى قسمين :

---

(١) أدم عبد الله الألورى : مرجع سابق ص ١١٠ - ١١٢ .

(٢) عن هذه الوقائع انظر :

- عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤م) .

Crowder , M . : The Story of Nigeria (London 1962)

- Smith , M . G . : The jihad of Sheh Dan Fodio (196o)

(٣) عن العلاقات بين امبراطورية سوكوتو ، وامبراطورية البرنو يرجع إلى

عبد الله عبد الرازق إبراهيم : مرجع سابق ص ٢٣٩ وما بعدها .

(أ) قسم شرقى - وضعه تحت حكم ابنه محمد بلو

(ب) قسم غربى - وضعه تحت حكم شقيقه عبد الله .

وقد تفرغ الشيخ بعد ذلك للزعامة الروحية - وللتأليف والإرشاد ، وفى عام ١٨١٧ توفى الشيخ عثمان وهو فى الثالثة والسبعين من عمره ، وقد استمرت أمبراطورية سوكوتو حتى عام ١٩٠٣م حين سقطت عاصمتها فى يد القوات البريطانية الغازية فى ١٤ مارس من هذا العام .

أحمد ولوبو :

تختلف الحركة التى قادها هذا الزعيم عن حركة عثمان دان فوديو - فقد إدعى المهديه ، وذكر إنه مبعوث العناية الآلهية لإنقاذ المجتمع الإسلامى فى غرب أفريقيا ومحاربة الوثنية فى هذا الجزء الهام من القارة[1] .

وقد انتشرت حركة أحمد ولوبو فى ماسنة ، ووجد فيها الفولانيون فرصة جديدة لتوحيد صفوفهم وارتفاع شأنهم فى هذه المناطق من غرب القارة - كما إرتفع شأن إخوانهم فى شمال نيجيريا على يد الزعيم عثمان فوديو .

وقد وجه أحمد ولوبو الرسائل إلى المسلمين فى أفريقيا كلها من مصر شرقاً إلى المغرب (مراكش) غرباً - بل وإلى المسلمين فى الأقطار الإسلامية المختلفة يشير فيها إلى أنه الإمام الثانى عشر ، وإنه المهدى الذى بُعث لإنقاذ الدين والمسلمين مما وصلوا إليه .

وفى عام ١٨١٣م أعلن الجهاد ونجح فى عام ١٨٢٧ فى دخول مدينة تُنبكت ، ثم دخل جنى ، واتخذ بالقرب منها عاصمة له سماها (حمد الله) .

وقد توفى فى ١٨٤٤م ولم تعمر دولته بعده طويلاً .

عمر الفوتى التكرورى :

ولد عمر الفتى فى قريه (حلوار) بأرض فوته ، وقد أعجب بمبادىء التيجانيه، كما أعجب بدعوة عثمان دان فودى الإسلامية ، وقد درس فترة فى الأزهر عام ١٨٣٣م وتزوج إبنة السلطان محمد بلو بن عثمان .

(١) Dibois ; F. : Tombouctou , La Mysterieuse (Paris 1889).

وقام بغزو إماره البمباره فى (كارته) مركز الوثنية فى عام ١٨٥٤م ، وقد تكتل حوله التوكولور (Tuculor) [1] واصطدم عمر بالفرنسيين - فى عام ١٨٥٧م - الذين كانوا يعملوا لتوطيد سلطانهم فى غرب أفريقية ، وانتهى الأمر بوفاة الحاج عمر فى عام ١٨٦٥م ·

الإمام صمودو :

صمودو (صمدى) من الماندنجو المنتشرين[2] فى جنوب سنغامبيا ، وقد ولد فى عام ١٨٤٦م ، واعتنق الإسلام فى شبابه وجمع حوله عدداً من مريديه ، ونجح فى تأسيس حكومه فى جنوب سنغامبيا فى الحوض الأعلى من نهر النيجر وروافده ·

وقد بلغ صمودى أوج قوته فى عام ١٨٨١ - لكنه اصطدم بالفرنسيين ، فأسروه فى عام ١٨٩٨م ومات فى عام ١٩٠٠م ·

المسلمون فى أفريقيا الغربية اليوم :

رأينا كيف انتشر الإسلام فى غرب أفريقيا ، وقد كان للتجار المسلمين وللمغاربة بوجه خاص دور هام فى هذا المجال ·

وكان لبعض القبائل والشعوب التي دخلت الإسلام دور كبير فى نشر الإسلام فى غرب القارة - فالبربر الذين قاوموا الإسلام فى البداية لعبوا دوراً هاماً فى نشر الدين وتعاليمه فى البلاد التي يربطها نهر السنغال ، ونهر النيجر ، ويذكر فى هذا السبيل بالذات الدور المتميز الذى لعبته قبيلتا لمتونه ، وجداله الصنهاجيتان ·

وبرزت جهود المرابطين وفى مقدمتها جهود يوسف بن تاشفين ثانى أ[illegible]اء دولة المرابطين ومؤسس مراكش - فى مجال تحويل القبائل الوثنية فى غرب القارة إلى الإسلام ·

---

(١) التوكولور - شعب زنجى كان يسكن مرتفعات فوتا جالون وعلى ضفاف النيل وكان من أسبق الشعوب إلى الإسلام ·

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Fage : An Introduction to the History of West Africa (Cambridge 1955)

وقد ظهرت فى غرب القارة ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية فى غانه ، وسنغاى ، ومالى ، وكانم ، وبرنو ·

ويميز الحركة الإسلامية في غرب أفريقيا ظهور مصلحين من الجنس الأفريقى · تصدوا لما شاب المجتمع الإسلامى فى هذه البلاد من شوائب تعارض مبادىء الإسلام وما يدعو له وما ينهى عنه ، فقاموا بحركات قوية بل نجحوا فى محاربة دول وثنية فى غرب القارة وبنوا إمبراطوريات كبيره ·

أما القبائل والشعوب فى غرب القارة التى دخلت الإسلام – ولعبت دوراً هاماً فى نشره بين القبائل والشعوب الأخرى فأهمها ·

١ – قبائل الطوارق الملثمون : وهم قبائل رحل ، يتنقلون فى مناطق شاسعة بالصحراء الغربية تمتد حتى منحنى النيجر ، ولهم نظام قبلى خاص ، فهم يعيشون فى مجموعات ولهم قيادات قبلية ، وتقاليد خاصه ولما اعتنق الطوارق الإسلام لعبوا دوراً هاماً فى نشره كما سبقت الإشاره ·

٢ – الفوله (الفولانى) : وهم فى الأصل رعاة – لكن استقرت جماعات منهم وعملت بالزراعة · وقد استطاع عثمان دان فوديو أن يجمعهم وينشر الإسلام الصحيح بينهم وأن يكون إمبراطورية إسلامية شاسعة حكمها حتى قضى عليها الفرنسيون ·

٣ – الشعوب السنغالية (الولوف) ، التوكولور ، والسرر ، والجوله وهم مجموعه مختلطة من الزنوج ، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الحادى عشر ·

٤ – السوننكى : يعيشون على السواحل الغربية للقارة ويتوغلون جنوب الصحراء الكبرى وقد اعتنقوا الإسلام فى وقت مبكر وساهموا فى نشره فى السودان الغربى ·

٥ – الماندنجو : سيطروا لفتره على المنطقة بين النيجر والمحيط الأطلسى ، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الرابع عشر ، ومن أشهر زعمائهم ساموری وسنشير لكفاحه ضد الفرنسيين فيما بعد ·

٦ - قبائل الفولتا الشمالية : إتصلت بعض قبائلهم بالمسلمين منذ قرون ، مما أدي لإنتشار الإسلام بينهم ، وقد أسلم عدد كبير من قبائل (الديولا) التى استوطنت ساحل العاج ·

٧ - السنغاى : يعيشون فى محاذاه منحنى النيجر - وقد إنتشر الإسلام بينهم عن طريق إحتكاكهم بالطوارق والمغاربة الذين وفدوا عليهم ·

٨ - شعوب تشاد : هم عناصر متباينة ، استقروا فى برنو ، وباجرمى ، ووادای - وقد اعتنقوا الإسلام باستثناء بعض الأقليات فى الجنوب ·

٩ - شعوب الكانمبو : يعيشون فى كانم شمال شرقى بحيره تشاد - وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الثانى عشر ·

كما أن بعض القبائل العربية هاجرت من الأقطار النيلية إلى الغرب واستقروا في برنو ، وكانم ، ونشروا الإسلام بين سكان المناطق التى استقروا بها ·

١٠ - شعوب غينيا الغربية : تأثرت إلى حد كبير بالإسلام ، وإن كان بعضهم لازال على وثنيتهم ·

١١ - الشعوب النيجيريا : تحول معظم اليوروبا (Yoruba) فى الشمال إلى الإسلام ، وهم يكونون أكبر مجموعة مسلمة متماسكه ، وقد انضموا تحت لواء الحركة الإصلاحية التى قادها عثمان دان فوديو ، وتنتشر لغة الهوسا - وهى لغة حامية - فى شمال نيجيريا بل وفى النيجر - وتُعتبر من أكبر اللغات إنتشاراً بغرب أفريقيا ·

* * *

تعرض دول غرب أفريقيا للغزو الإستعمارى الأوروبى :

بدأت البرتغال صفحة الاستعمار فى أفريقيا باستيلائها على ميناء سبته المغربى فى عام ١٤١٥م و منذ ذلك التاريخ حاولت البرتغال وغيرها من الدول الأوربية الإستعمارية أتخاذ قواعد لها على الشاطىء الغربى للقارة ثم محاولة التوغل للداخل ،

وبعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شرق القارة - تعرضت الإمارات العربية بشرق القارة لمحاولات البرتغال الإستعمارية فاستولوا على ما استطاعوا الإستيلاء عليه - وخربوا ما لم يستطيعوا إخضاعه كما شرحنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب ·

أما فيما يتعلق بغرب أفريقيا - فقد كانت فرنسا بالذات أكثر الدول نشاطاً فى هذه المنطقة من القارة ، وقد بدأ هذا النشاط الفرنسى برحلات من الفرنسيين وصلت إلى نهر السنغال بقصد تأسيس محطات تجارية فى هذه المنطقة ، ومن أهم ما كانت تتجر به هذه المحطات الرقيق[1] ·

على أن توسع فرنسا لمسافات كبيره فى الداخل لم يبدأ إلا فى القرن التاسع عشر - حين شعرت فرنسا بعد الحروب النابوليونيه أنها فقدت هيبتها الدولية - فأخذت الملكية العائدة إلى فرنسا تتوسع فى السنغال ·

ولما تولى نابليون الثالث - كان يحلم بأفكار عمه الإمبراطور الأكبر الإستعمارية، فأطلق العنان للرواد الفاتحين فتحولت السنغال إلى مستعمرة حقيقية ·

كما مدت فرنسا نفوذها فى غرب القارة على مساحات واسعة فكونت ما عُرف بأفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique Occidental Fancaise A . O . F.) وهى تضم سبع مستعمرات (السنغال ، وغنيا ، والسودان الغربى ، وساحل العاج ، وفولتا العليا ، وداهومى ، والنيجر)·

وقد واجه الفرنسيون فى محاولاتهم لبسط نفوذهم على هذه الجهات شعوباً لها حضارتها ونظمها ، وتقاليدها ، وتعاليمها ، ودياناتها ، وكان الإسلام - كما شرحنا من قبل - قد انتشر فى هذه الجهات وأثر فى حياه سكانها ومعتقداتهم ·

((١) من أوائل الشركات التجارية الفرنسية فى غرب القارة - شركة السنغال الملكية) (Royal SengaL Company)وقد برز نشاطها بالذات فى غرب القارة عام ١٦٩٧م فى عهد مديرها اندريه دى بروى (Andre DE Brue) ·

ففى تقدمهم من الغرب صوب نهر النيجر إصطدم الفرنسيون بزعيم قبائل التكولور (أحمد وشيخو) ، كما إصطدموا بزعيم الماندنجو (ساموری)[١] .

واستطاع الفرنسيون أن يحولوا دون تكتل القوتين ضدهم ، وتقدمت القوات الفرنسية بعد ذلك على طول نهر النيجر فاستولت على سيجو ، ثم جنى ، واتجهوا صوب تنبكتو فى عام ١٨٩٣م وحاصروها ، وقد تصدت قبائل الطوارق للفرنسيين وكبدتهم خسائر فادحة - لكن سقطت المدينة فى أيديهم فى عام ١٨٩٤ ، وفى عام ١٨٩٨ - وقع الزعيمان المسلمان أحمدوشيخو ، وساموری فى قبضة الجيوش الفرنسية ونفيا إلى جابون - وهكذا فُتح الطريق أمام الفرنسيين لمصب نهر النيجر .

وحين تقدمت القوات الفرنسية شرقاً صوب بحيرة تشاد إصطدم الفرنسيون فى تقدمهم صوب السودان بقوات زعيم أفريقى آخر هو (رابح فضل الله) وكان فى الأصل من قواد الزبير باشا رحمت الزعيم السودانى - وعندما استسلم سليمان بن الزبير - بعد سفر الزبير إلى القاهرة - لقوات رومولو جيسى (Romolo Gessi) التى كان قد أرسلها ضده غوردون باشا حكمدار السودان فى ذلك الوقت - رفض رابح فكرة التسليم لجيسى وتقدم غرباً مع اتباعه فى عام ١٨٧٩ واحتل عدة مقاطعات من دارفور ، ثم اتجه نحو باجرمى ، وأخضع سلطنة برنو لنفوذه وكون مملكة قوية واتخذ مدينة (دكوه) جنوب بحيرة تشاد عاصمة له[٢] .

وكان طبيعيا أن تصطدم القوات الفرنسية الزاحفة شرقاً مع هذه القوة السودانية القوية - وقد استطاع رابح أن يوقع الهزيمة بالفرنسيين فى أكثر من معركة - لكن

---

(١) للتفاصيل عن جهاد ساموری ضد الفرنسيين يرجع إلى :

نصر رشوان : دولة ساموری فى غزب أفريقيا ١٨٧٢ - ١٨٩٨(رسالة دكتوراه غير منشورة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٩- باشراف د . شوقى الجمل) .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن حركة رابح فضل الله يرجع الى :

حسن منيسى : رابح فضل الله ودوره فى مقاومة الاستعمار

(رسالة ماجستير: من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٩٢ ، بإشراف د. شوقى الجمل) .

انتهى الأمر بإرسال عدة حملات فرنسية من الجزائر ، والكنغو الفرنسى وغيرهما - إستطاعت أن توقع الهزيمة بقوات رابح بالقرب من بحيره تشاد وقتل رابح فى المعركة ، كما قتُل فى نفس المعركة القائد الفرنسى لامى (Lamey) .

وظلت القوات الفرنسية فى باجرمى بعد ذلك تحُارب أولاد رابح وأتباعه حتى عام ١٩٠٢م حين نجح الفرنسيون فى أن يسيطروا على المناطق المجاورة لبورنو .

على أن فرنسا لم تكن الدولة الأوربية الوحيدة التى عمدت لمد نفوذها لغرب أفريقيا فقد نجحت انجلترا أيضاً فى مد نفوذها الإستعمارى إلى غمبيا ، وسيراليون ، وساحل الذهب (غانه) ، ونيجيريا .

ولقيت انجلترا مقاومه عنيفه من القبائل الصحراوية ومن المسلمين خاصة فى كانو ، وسوكتو لكنها استطاعت إخضاع القبائل الثائرة - وفى أول يناير ١٩٧٤م أصبحت نيجيريا محميه بريطانية واحدة وأصبح فردريك لوجارد (Sir Fredirrick Lugard) حاكماً عاماً لها[1] .

* * *

هكذا وقفت الشخصيات الوطنية والإسلامية فى غرب القاره فى وجه المستعمرين الأوربيين وإن كانت هذه الحركات الوطنية لم تستطع أن تحول دون سقوط هذه البلاد فى غرب القارة - فى يد المستعمر الأوربى - لكنها بلاشك أعطت مثلاً للتضحيه والفداء فى سبيل الوطن ، وظل الأفارقه يترقبون الفرصة لمعاودة الكفاح ضد المستعمر حتى نجحت الحركات الوطنية فى هذه البلاد فى أن تحقق أهدافها فى أعقاب الحرب العظمى الثانية - وكان عام ١٩٦٠م هو عام أفريقيا بحق إذا استقلت فيه عدة دول فى غرب القارة وفى شرقها ووسطها - واضطر المستعمر أن يحمل عصاه عن هذه البلاد ويرحل .

* * *

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Burns , Alan : History of Nigeria (London 1955) .

الفصل الخامس

الأثار التى ترتبت على انتشار الإسلام فى أفريقيا

الدول الحضارى للإسلام فى شريه أفريقيا :

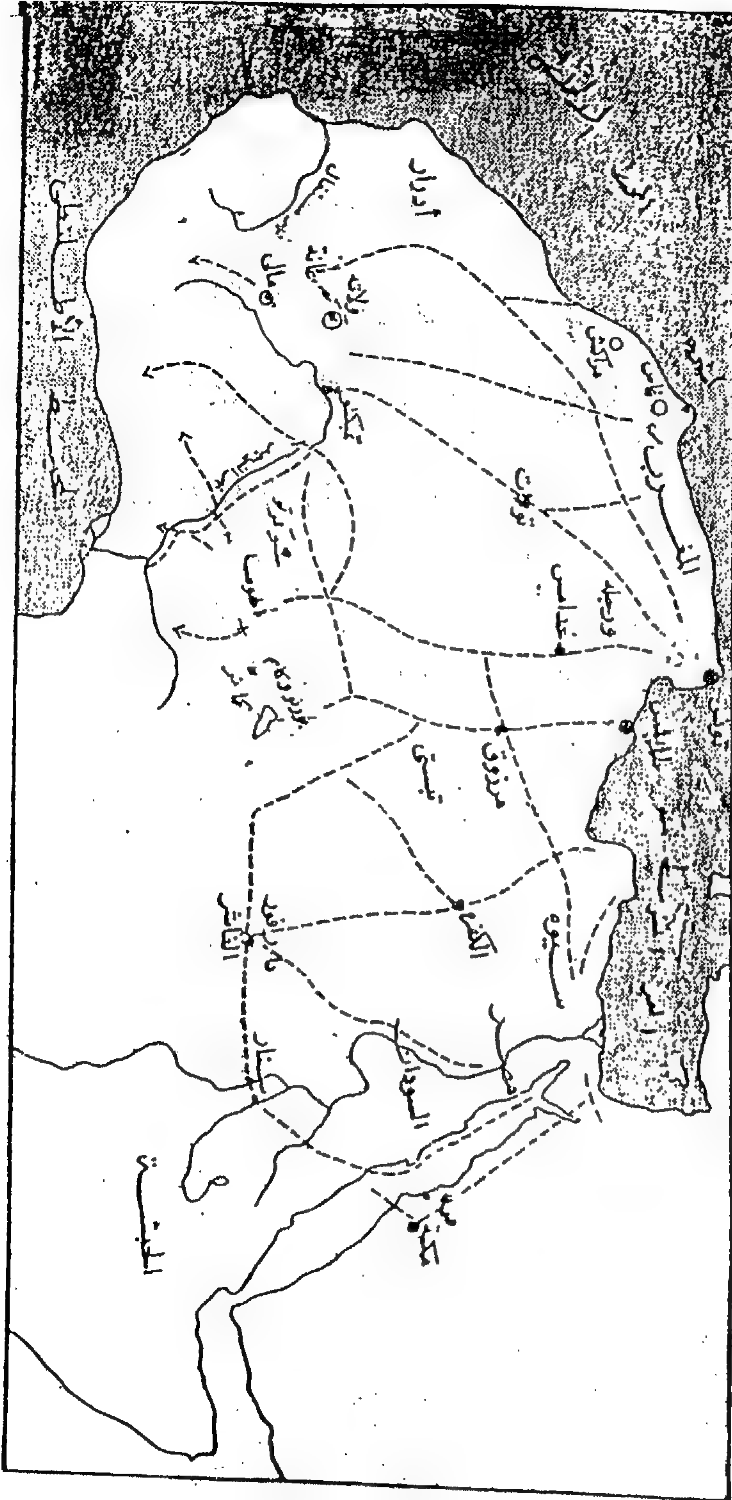
انتشر الإسلام - كما رأينا - فى شرق القارة الأفريقية ، وفى مصر ، وشمال أفريقيا، وإمتد التيار الإسلامى إلى بلاد النوبة والسودان ، وإلى مناطق من وسط القارة وجنوبها ، كما إمتد إلى غرب القاره - بحيث أصبح أكثر من نصف سكان القارة يدينون بالإسلام ٠

وترتبت على إنتشار الإسلام فى هذه الجهات نتائج عميقة فى المجتمعات التى انتشر فيها ، وفى سلوك الناس ، ومعاملاتهم ، وفى ثقافتهم وعلاقاتهم بعضهم بالبعض الآخر، وقامت فى هذه المناطق التى إستوطنها المسلمون وحدات سياسية وحكومات لها أنظمتها ، وحاولت هذه الحكومات أن تطبق مبادىء الشريعه الإسلامية، ولما حدث إنحراف فى بعض هذه الحكومات والشعوب عن التعاليم الأساسية ، للإسلام ظهر مصلحون حاولوا اصلاح حال المسلمين ومحاربة البدع بالطرق السلمية حيناً وبالحرب والقتال حيناً آخر ٠

وقد نوه الرحالة العرب والأوربيون أيضاً الذين زاروا هذه البلاد التى انتشر فيها الإسلام بالدور الذى لعبه المسلمون فى حياة هذه المجتمعات التى إستقروا فيها ٠

ففى شرق القارة حيث قامت الإمارات العربية على الساحل تحدث ابن بطوطه- الذى قام بثلاث رحلات هامة فى الفترة (١٣٢٥ - ١٣٥٤)[١] - بعد رحلته الثانية التى زار فيها سواكن ، وزيلع .، ومقديشو ، وكلوه وغيرها من بلاد شرق أفريقيا - عما رآه من مظاهر الحضارة فى هذه الجهات التى زارها ٠

(١) انظر كتابه « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » (طبعة بولاق ١٩٣٤م) ٠



سبل الاتصال بين شمال إفريقية ودول غربى إفريقية

(شكل رقم ٧)

وأشار إلى أن المسلمين فى هذه الجهات لم ينسوا تقاليدهم العربية وما اعتادوا عليه من اكرام الضيف وذكر إنه عند قدوم أية سفينة إلى الشاطىء يهرع إليها رجال القبائل حيث يتقابلون مع القادمين الغرباء ويستقبلونهم فى منازلهم ، فكبار القوم ورجال الدين وغيرهم ممن لهم مكانة فى مجتمعاتهم ينزلون فى ضيافة قاضى المدينة أو غيره كل حسب مكانته .

وحين وصل البرتغال وغيرهم من الأوربيين بعدهم إلى شرق أفريقيا لمسوا كما يقول (كوبلاند) مجتمعاً متحضراً لا يقل عن المجتمعات الأوربية .

وقد شهد فاسكوداجاما الذى قام برحلته الشهيرة إلى شرق أفريقيا - الناس يرتدون الملابس الحريرية الموشاة بالذهب ، وسيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة ، كما شاهد فى مقديشو المنازل العالية من عدة أدوار ، والقصور فى وسط المدينة ، وفى مالندى أستقبلت بعثته (بعثة داجاما) فى قصر مفروش بالسجاد ومفروش بأفخر الأثاث .

وشهد دوار بربوسا (Duarte Barbosa) نفس الشهاده عند زيارته كلوه ، وممبسه ، ومالندى ، وبمبا ، وزنجبار .

وقد أشرنا إلى تعليق كوبلاند على هذه المشاهدات بقوله « إننا يجب إلا نندهش لما ذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا ،فإن العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضارة - فمدارس بغداد والقاهرة وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك التى فى أكسفورد أو اية مدينة مسيحية أخرى»[1] .

وحين استطاع الرحالة - ستانلى - الذى كان يعمل لحساب الملك ليوبولد ملك بلجيكا - أن يوطد أقدام الملك البلجيكى فيما عُرف فيما بعد بدولة الكنغو الحرة(Congo Free State)والتى إعترف مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ للملك البلجيكى وشركته بحق إداراتها - اتجهت أنظاره للمنطقة بين بحيرة تنجانيقا وشلالات

---

(١) Coupland : op . Cit . p .39 .

ستانلى حيث كان العرب الذين قدموا من الشرق من (زنجبار) قد وصلوا إلى أعالى الكنغو - وسيطروا على هذه المنطقة ، وكان على رأسهم حميد بن محمد المرجبى الذى اشتهر باسم تبوتيب والذى نجح فى تكوين دولة عربية فى هذه المناطق عاصمتها كاسونجو Kasongo ظل يحكمها حتى سنة ١٨٩٠ وخلفه ابنه سيفو (Sefu) .

وقد ذكر الكتاب البلجيكيون الذين زاروا عاصمة هذه الدولة - إنها بلغت درجة كبيرة من التقدم ، وكانت بها قصور موثثة بأفخر الأثاث ، كما كانت بها المساجد والمدارس العربية - يتعلم فيها الطلاب القرآن الكريم ، وبعض علوم الدين والحساب، وكانت هذه الدولة العربية على إتصال بزنجبار بالطريق المباشر عبر أوجيجى وكذلك بطرق أخرى[١] .

وقد اطنب الكاتب (Hinde) فى وصف كاسونجو عاصمة هذه الدولة العربية الإسلامية بعد سقوطها فى ١٧ أبريل سنة ١٨٩٠م فى يد قوات دولة الكنغو فذكر «إنه حتى الأفراد العاديين فى هذه المدينة ينامون على أسرة مغطاة بالحرير ، ومزوده كل منها بكلة (ناموسية) كما توجد الستائر ، وكانت المنازل محاطة بحدائق البرتقال والموز وغيرها من الفاكهة ، كما وجُدت بالمدينة كميات كبيرة من الأرز ، والذرة ، والصابون والأطعمة بالإضافة إلى الكماليات - مما ذكرت أفراد القوات الغازية بما تركوه فى أوربا » ، وذكر « إن كل منزل ملحق به حمام ، وأن المدينة ذاتها - كانت مقامه على حافة غابة أُزيلت أشجارها ليزرع مكانها قصب السكر ، والذرة ، والأرز، والفواكه »[٢] .

أما زنجبار - فقد إزدهرت فيها الحضارة وقد دُهش فاسكو داجاما حين زارها فى عام ١٤٩٩ من الرواج الذى لمسه فى أسواقها - فقد ذكر إن أهلها على قدر كبير من التحضر ويتجرون فى درقات السلاحف ، والعنبر ، والعاج ، والشمع ، والعسل ، والأرز ، وكانوا يلبسون الأقمشة الحريرية،والقطانى ، وتكثر بها الماشية والأخشاب ،

---

(١) Hinde , Sidney Langford :The fall of the Congo Arabs (London 1897) p . 17 .

(٢) Davidson , Basil : The Growth of Central Africa's Civilisation (London 1973) p . p . 1oo - 1o1 .

وكان بالعاصمة مسجد قديم منقوش فوق محرابه بالخط الكوفى تاريخ بنائه وهو يوم الاحد ذى القعدة عام ٥٠٠هـ / ١١٠٧م[١] .

والحقيقة إن دراسة الأوضاع التى كانت عليها المدن والإمارات العربية بشرق آفريقيا قبيل مجيىء البرتغال تُعطى صورة مشرقة لما كانت عليه هذه المدن التجارية من إزدهار وتحضر ، وكيف كانت المعاملات التجارية تجرى بالأمانة والثقة ، وكيف كان المسلمون بهذه المدن والموانى يتمسكون بدقة بتقاليد الإسلام ، ويحافظون على أداء الصلاة فى أوقاتها ويحرصون على النظافة التى حث عليها الإسلام[٢] .

وقد كانت اللغة العربية هى لغة التفاهم بين الأفراد فى المدن والمراكز العربية بشرق القارة ، وقد ترتب على الإختلاط والاحتكاك بين العرب والأفارقة - نشر اللغة السواحيلية وهى خليط من اللغات الأفريقية التى كانت سائدة بين الأفارقة وبين اللغة العربية التى أصبحت معرفتها ضرورية للذين اعتنقوا الإسلام من سكان السواحل وما وراءها باعتبارها لغة القرآن والصلاة .

واللغة السواحيلية المنتشرة بين سكان الساحل الشرقى الأفريقى - هى نتيجة التفاعل بين اللغة العربية واللغة الأفريقية التى كانت سائدة بهذه السواحل[٣] .

أما عن مصر - فبعد الفتح الإسلامى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب - تدفقت القبائل العربية عليها واختلطوا بالمصريين ، وقد دخل عدد كبير منهم فى الإسلام ، وكانت لسياسة التسامح ومبادىء المساواة وغيرها من المبادىء التى نادى بها الإسلام - أثرها فى انتشار الإسلام بين قبط مصر ، وقد أتى لمصر عدد من الصحابة حيث بنوا بيوتهم بمدينة الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص والتى ظلت قاعده الديار المصرية، ومقراً للإمارة حتى بنُيت العسكر،وقدانتشرت اللغة العربية فى مصر -

---

(١) صلاح العقاد ، جمال زكريا : زنجبار (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٨٥ .

(٢) شوقى الجمل : دور العرب الحضارى فى شرق أفريقيا - مجلة الوثيقة - العدد الثالث عشر - السنة السابعة (البحرين ، نوفمبر ١٩٨٨م) .

(٣) للمزيد من المعلومات عن الثقافة العربية يرجع إلى :

راجيه محمد عفت : الثقافة العربية فى شرق أفريقيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة من معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، (بجامعة القاهرة ، ١٩٨٠م) .

حتى أصبحت لغة العامة والخاصة حتى أن الكثير من الطقوس الدينية فى الكنائس القبطية فى مصر أصبحت تؤدى باللغة العربية .

ولما تم بناء الأزهر فى ١٧ من رمضان سنة ٣٦١هـ (٢٢ يونيه سنة ٩٧٢م) وبدأ نشاطه - أصبح منارة ثقافية تقوم بنصيب كبير فى الحركة العلمية فقد إستجلب الفاطميون للأزهر خيرة فقهاء وعلماء الشيعة وقضاتها ، ونقلوا إليه كثيراً من الكتب من مختلف الخزائن ، وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى للإلتحاق به[1] .

وقدتطور نظام التعليم فى الأزهر وصدرت عدة قوانين للإصلاح . وكثر عدد الوافدين للأزهر من البلدان العربية والأقطار الأفريقية الآخرى ، خاصة بعد إنشاء مدينة البعوث الإسلامية - كما اهتم الأزهر بإرسال مبعوثين من رجاله للدول الأفريقية بالإضافة إلى دعم المراكز الإسلامية فى هذه الدول[1] .

وانتشرت الثقافة والحضارة العربية فى بلاد النوبة مع إنتشار الدين الإسلامى خاصة بعد أن قضى العرب على مملكتى النوبة المسيحيتين كما أشرنا من قبل .

وبانتشار العرب فى السودان - انتشرت اللغة العربية ،والثقافة العربية الإسلامية - ولسنا بحاجة لأن نشرح أهمية هذا التطور الخطير فى تاريخ السودان - أن أصبح السودان أمة عربية إسلامية .

ومنذ أوائل القرن الرابع عشر بدأ بعض العلماء المسلمين يفدون للسودان ، ويستقرون فيه ويعمرون المساجد ويعلمون أهله مختلف علوم اللغة والدين .

نذكر من هؤلاء (غلام الله بن عابد اليمنى) الذى رحل إلى دنقله فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وكان يُعلّم أولاد المسلمين القرآن والعلوم الأخرى .

وهكذا بدأت تظهر طبقة من الفقهاء ورجال الدين تعمل على بذر بذور الثقافة

(١) للمزيد من التفاصيل عن دور الأزهر فى أفريقيا يرجع إلى :
- شوقى الجمل : الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا ١٩٨٨م .
- عبد العزيز محمد الشناوى : الأزهر جامعا وجامعة جزءان (١٩٨٠ - ١٩٨٤) .

الإسلامية ، والتقاليد الإسلامية بين سكان شمال السودان ، وقد انتشرت مراكز تعليم القرآن واللغة والحديث خاصة فى المنطقة الممتدة من دنقله شمالاً إلى أريجى فى الجنوب ، وقد كان سكان الحلة التى بها المسجد يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ليقيموا فيها طاعمين كاسين[١] .

ولما قامت فى السودان سلطنات ومشيخات عربية سودانية - قبل إمتداد سلطان محمد على للسودان - انتشرت فى هذه السلطنات والمشيخات اللغة العربية والعادات والتقاليد الإسلامية .

وقد برزت أسماء شخصيات - غير غلام الله بن عابد اليمنى الذى أشرنا إليه- قامت بتعمير المساجد وقراءة القرآن ونشر الثقافة الإسلامية فى السودان .

نذكر من هؤلاء (أولاد عون الله السبعة) - والشيخ البندارى ، والشيخ حمد ود رزوق ، والشيخ إدريس الأرباب[٢] .

كما ظهر فى منطقة النيل الأبيض الشيخ محمود العركى[٣] الذى جاء من مصر ونشر تعاليم الإسلام فى سنار وأنشأ سبع عشرة مدرسة فى المنطقة بين الحسانيه والكوة . ويمثل النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ازدهار الثقافة الإسلامية فى السودان - إذ أخذ حملة مشاعل العلم والدين يفدون للسودان من مصر ومن غيرها من الأقطار العربية ليقوموا بواجبهم نحو تثقيف السودانيين وتوجيههم إلى تعاليم دينهم .

وقد انتشر المذهب المالكى فى السودان على يد إبراهيم ، ومحمد القناوى المصرى - وهما ممن تعلموا فى الأزهر ، كما وفد بعد ذلك شيوخ نشروا المذهب الشافعى مثل الشيخ محمد بن على القرم .

---

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ، مرجع سابق،ص٣٤١ .

(٢) للمزيد يرجع إلى :

ود ضيف الله : طبقات ود ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان .

(٣) العركى : أصله عراقى ، وقد تعلم فى الأزهر الشريف فى الفترة ما بين ٩٣٥ ، ٩٤٠ هـ وهاجر للسوادن حيث نشر الثقافة الإسلامية فى نطاق النيل الأبيض .

كما وفد للسودان بعض دعاة التصوف ، وقد إنتشرت المساجد والمعاهد العلمية فى مختلف أرجاء السودان الشمالى .

وقد كانت المساجد والخلاوى هى المراكز الأساسية للتعليم ولتحفيظ القرآن إلى أن أمتدت الادارة المصرية إلي السودان - فأهتمت هذه الإدارة بأن تختار عدداً من أبناء الجهات التى أمتد إليها النفوذ المصرى - وترسلهم إلى المدارس المصرية لتلقى العلم هناك - ثم انتقلت مصر خطوة أخرى بنقل تجربة التعليم الحديث إلي ميدان السودان- فبدأت بفتح المدارس فى الخرطوم وغيرها من مدن السودان - واتسع أفق هذه التجربة فى عهد اسماعيل فأفتتحت المدارس فى مختلف مدن السودان والمناطق التى إمتدت إليها الإدارة المصرية فى شرق السوادن وغربه وجنوبه[1] .

على أننا نُشير بالذات إلى الوضع فى المديريه الإستوائية وجنوب السودان - فعلى الرغم من أن إمتداد الإدارة المصرية إلى هذه الجهات - فتح المجال أكثر أمام الهجرات العربية إلي الجنوب وقد إمتدت أثار العرب والثقافة العربية الإسلامية إلى هذه المناطق - فإن الإهتمام قد ركز بالذات على إنشاء ما يُشبه الورش لسد حاجة الإدارة الجديدة من الصناع وخلافهم من المدربين على أنواع معينة من الخبرة كالنجارة، والحداده ، وصنع السفن والصناعات الجلدية ، وقد أشار لذلك الرحالة الدكتور يونكر [2] .

كما أن المديرية الاستوائية بصفة خاصة شهدت ظاهره معينة وهى تولى الاجانب إداراتها - وقد ولى أمرها صموئيل بيكر ثم خلفه غوردون ثم براوت ، فالدكتور ادوارد شنتزر هذا بالإضافة إلى كثره عدد الأجانب الذين وفدوا عليها .

والحقيقة إنه كان على الإدارة المصرية أن تُدرك أهمية التركيز على نشر الدين الإسلامى والحضاره الإسلامية واللغة العربية فى الجنوب مهما حال دون ذلك من

---

(١) عبد العزيز عبد الحميد : التربية فى السودان ، والأسس النفسية والإجتماعية التى قامت عليها ٣ أجزاء (القاهرة ١٩٤٩م) .

(٢). Junker : Travels in Africa Vol . 111 (London 1890) p . 364

عقبات ، فقد كان ذلك كفيلاً بإنتشار تيار الإسلام والعروبه إلى الجنوب - لكن الأمر تُرك للنشاط الأجنبى ، وفى عهد الإدارة الثنائية للسودان - أصبح الجنوب مسرحاً لنشاط الجمعيات التبشيرية ، وقد شجعت الإدارة الانجليزية هذا الاتجاه - ولعل هذا من الأسباب المسئولة عن تطور مشكلة جنوب السودان ·

وحين إمتد النفوذ المصرى إلى أوغنده فى أواخر عهد أسماعيل - طلب أمتيسه ملك أوغنده إرسال من يرشده إلى تعاليم الدين الإسلامى - وقد بادرت مصر بإرسال إثنين من الفقهاء لتحقيق ذلك - وقد جاء فى الأمر الصادر من الخديوى بهذا الشأن بما أن هذه البلاد بعيدة ومتسعه ، ونشر الدين القويم فيها مبتدىء - فقد تعين إثنان من الفقهاء ذوى العقل والمعرفه ، والإرادة فى تآلف قلوب الأهالى وتعليمهم بغاية اللطف قواعد الديانه الإسلامية ومحسناتها» [1] .

لكن انجلترا بالذات عوقت تحقيق هذا الأمر حين أخذت تعمل على مد نفوذها إلى هذه المناطق الهامة المرتبطة بمنابع النيل ، وحين أصدرت القوانين للفصل بين شمال السودان وجنوبه والحد من حرية إنتقال الشماليين للجنوب ·

عزب القارة وانتقال الحضارة الإسلامية إليه :

إذا انتقلنا إلى غرب القاره - نجد أن المناطق الشاسعة من غرب القارة التى امتد إليها الإسلام - تأثرت بالحضارة الإسلامية والعربية والمبادىء التى نادى بها الدين الحنيف - وكان لذلك أثره فى التطور السياسى والإقتصادى والإجتماعى بهذه المناطق ·

فالإسلام لم يكن ديناً فحسب بل ثقافة وتنظيماً إجتماعياً واقتصادياً - ولم يهدف لهدم المجتمع القديم بمقوماته بل تطويعه للدين الجديد وتعاليمه · وقد ظهر فى هذه المناطق الأفريقية علماء وفقهاء - كما ذكرنا - تركوا لنا ثروة علمية وفقهية فى مختلف مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية - ولعل القرنين الرابع والخامس الهجريين يمثلان القمه فى الثقافة العربية فى هذه البلاد ·

---

(١) دفتر ١٨ عابدين-صادر تلغرافات عربى شفره ص ٣ ،فى ٢١ ربيع الأول ١٢٩٤هـ·

وقد قامت فى غرب أفريقيا فى ظل الإسلام مراكز حضارية استقطبت الكثيرين من علماء العالم الإسلامى وطلاب العلم والمعرفة[١] .

وانتشار الإسلام فى هذه الجهات كان معناه أيضاً لنتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمعاملات التجارية والكتابة خاصة بعد أن أجمع أغلب أئمة المسلمين بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم ، وعدم جواز قراءته بغير العربية ، ووجوب الصلاة بها ، فكان لابد لمن يريد معرفة أسرار الدين أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها .

وقد إرتبط إزدهار الثقافة الإسلامية العربية فى غرب أفريقيا – كما ذكرنا سابقاً– بانتشار الطرق الصوفية خاصة التيجانية والقادرية ، وما إنبثق منهما من طرق فرعيه أخرى ، وقد لعبت هذه الطرق وأتباعها دوراً كبيراً فى نشر الثقافة الإسلامية فى هذه الجهات ، وفى مقاومة الاستعمار الأوربى عندما تعرضت البلاد للغزو الإستعمارى الذى إندفع إلى المنطقة طامعاً فى ثرواتها ومتسلحا بما أمدته به النهضة الأوربية من أسلحة مكنته من إختراق المناطق المجهولة .

وصاحَب انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا – ظهور طبقةواعية من المصلحين الذين سعوا لمحاربة البدع والعادات السيئة التى كانت منتشره بين الناس ، ولما تسربت بعض هذه البدع للمجتمعات الإسلامية بغرب أفريقيا هرع المصلحون للدعوة لتطهير المجتمع الإسلامى مما شابه مما لا يتفق ومبادىء الإسلام .

وقد قامت فى غرب أفريقيا – كما رأينا – ممالك (امبراطوريات) إسلامية كبرى لها مكانتها ، ولها حضارتها فى غانا ، ومالى ، وسنغى ، وبرنو ، وكانم .

وقد تأثر حكام هذه البلاد الإسلامية بما شاهدوه أو سمعوا عنه فى البلاد الإسلامية الأخرى وحاولوا أن ينقلوا لبلادهم بعض الأنماط الحضارية التى كانت فى البلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب العربى .

---

(١) أشار الدكتور عبد الرحمن زكى إلى العديد من المؤلفات العربية لعلماء وفقهاء غرب افريقيا ، ومعظمها مخطوطات محفوظة فى مكتبة ايبادان بنيجيريا . انظر :
عبد الرحمن زكى : المراجع العربية فى غرب أفريقية (١٩٦٨م) .

وتعطينا المراجع التاريخية أمثلة عديده لذلك منها مثلاً ما يذكر عن زيارة وفد مالى للمغرب فى عام ١٣٤١م فى عصر السلطان أبى الحسن المرينى (١٣٣٠ - ١٣٥١م) بهدف تقوية العلاقات بين المغرب ومالى - وعندما انتهت زيارة الوفد للمغرب - جمع السلطان المالى عدداً من مهرة الصناع والفقهاء للتوجه إلى مالى والمساهمة فى النهضة العمرانية والحضارية بها .

وكان على رأس تلك البعثة المعمارى (أبو إسحق الطويجن) الذى أشرف على بناء مسجد وقصر للملك المالى ، وقد أسهمت هذه البعثة المغربية فى الحركة العمرانية والعلمية فى هذه البلاد وأجيزت على نشاطها هذا بإثنى عشر ألف مثقال من الذهب[1] .

وقد رأينا سابقًا أن الملوك ، والأفراد من أهالى غرب أفريقيا - بعد أن اعتنقوا الإسلام كانوا حريصين على أن يؤدوا فريضة الحج - حين يُتاح لهم ذلك ، وقد أشرنا إلى وفد الحجاج الذى كان على رأسه منسى موسى سلطان مالى (٧٢٤هـ - ١٣٣٢م) والذى قيل إنه كان يضم أكثر من عشرة الآف حاج .

وترتب على تشجيع حكام الممالك الإسلامية بغرب أفريقيا - للعلماء ورجال لدين - أن توافد على هذه البلاد عدد منهم من مختلف الأقطار الإسلامية من لشرق والمغرب - وقد أغدق عليهم السلاطين المال وشجعوهم على الإقامة ببلادهم ثقيف الناس وإرشادهم فى شئون دينهم .

وقد أشار ابن بطـــوطه إلى ذلك ، ومن طريف ما ذكره إنه ثناء إقامته بمدينة

---

(١) للدراسة التفصيلية انظر :

- أبو العباس أحمد بن محمد الخضرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر يرها لسان الدين الخطيب (بولاق ، ١٨٦٢م) .

- وكذلك . Niam Djibril : L'Empire De Mali (Conakry 1948)

والمؤلف غينى فكتابته لها أهميتها باعتباره من الأفارقة القلائل الذين كتبوا عن تاريخ دهم .

(مالى) أُصيب بمرض حاد فى معدته نتيجة أكله عصيدة مصنوعة من نبات يشبه القلقاس فأسعفه طبيب مصرى قدم له دواءً مسهلا يُسمى بيدر[1] .

كذلك اشتهر عن السلطان أسكيا محمد سلطان مالى (١٤٩٣ - ١٥٢٨) تشجيعه للعلماء وترحيبه بمن وفد منهم من البلاد الإسلامية الآخرى ، فحضر عدد منهم وأقاموا فى غاؤ ، وجنى ، وتنبكتو ، فكان وجودهم بهذه البلاد سبباً فى نهضة ثقافية شملت البلاد فى القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ، وبفضلهم أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية[2] .

وحين أدى أسكيا محمد سلطان مالى - فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ محمد كعت ومر بمصر وتعرف على العالم المصرى جلال الدين السيوطى ، وكان من أهم رجال العلم فى زمانه العالم الفقيه (عبد الكريم ابن محمد المغيلى التلمسانى) الذى عاش فترة غير قصيرة فى تنبكتو التى كانت من أهم المراكز الإسلامية بغرب أفريقية ، وكانت تجارة الكتب رائجة فيها كما إشتهرت بوجود العديد من المخطوطات النادرة فى مكتباتها ، كما وجد فيها نُساخ متخصصون فى نسخ أصول المصادر الهامة ، كما إشتهرت بوجود خزانة عامة للكتب بها كان يستعين بها أهل العلم والأدب فى بحوثهم[3] .

ومن المراكز الإسلامية الأخرى التى برزت فى السودان الغربى مدينة (جنى) وهى تقع على مسافة مائتى ميل إلى الجنوب الغربى من تنبكتو - ورغم أنها أسست

---

(١) ابن بطوطة جـ٤ ص ٢٩٧ .

(٢) أشار المؤرخ الفرنسى ديبوا بما فى مكتبة تنبكتو فى القرن السادس عشر بالذات من مصادر - وذكر إنها كانت حاضره ثقافية على صلة بغيرها من العواصم فى العالم العربى مثل فاس فى المغرب ، والقيروان فى تونس ، وقرطبه فى الأندلس ، والقاهرة فى مصر ، وذكر إن الكثيرين من علمائها رحلوا إلى فاس وإلى مصر واتصلوا بعلمائها .

واشار بالذات إلي شهرة معهد سنكورى بتنبكتو ، وذكر إن له مكانة كالأزهر والقيروان وغيرهما من معاهد العلم فى العالم العربى .

(٣) نعيم قداح : أفريقيا العربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٦٠م) ص ٤١ .

قبل تنبكتو بوقت بعيد - لم تدخل فى دائرة النفوذ الإسلامى إلا منذ القرن الخامس الهجرى حين أسلم أميرها فى عام ١٠٥٠م ، وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام بمكة .

وقد بلغت درجة كبيرة من التقدم والإزدهار فى ظل الحضارة الإسلامية ، وذلك في المجالين العلمي والإقتصادى - وقد ازدهرت فيها تجارة الملح والتبر وأصبحت من أهم أسواق قبائل الفوله ، والدلوف ، والسركوله ، والتكرور .

وقد عبرّ السعدى عن ذلك بقوله « إنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يلتقى بها تجار الملح ، وتجار الذهب ، وكانت مركزاً ثقافياً »[١] .

وقد ذكر إنه كان بها أكثر من أربعة آلالآف من المشتغلين بالعلم ، وأشار إلى بعض علمائها مثل الفقيه (فودى محمد سافو الونكرى) والقاضى (العباس كنت الجندى) وكان فقيها وعالماً ، والقاضي (محمود بن أبى بكر بغيغ) والد العالمين الفقيه محمد بغيغ ، والفقيه أحمد بغيغ[٢] .

ومن المدن الإسلامية الهامة الأخرى التى برزت فى السودان الغربى مدينة (كانو)، وقد برزت بالذات بعد أن رحل إليها بعض علماء تنبكتو بعد أن إضمحل شأن تنبكتو ، وقد آسست فى كانو مدرسة للعلوم ، ومدرسة للقضاء الشرعى ذاعت شهرتها[٣] .

أما مدينة (كاشنه) فقد اجتذبت عددا كبيرا من العلماء ، وقد آقام بها الإمام المغيلى زمناً طويلاً ، يعلم الناس ويرشدهم ويفصل فى الخصومات بينهم ، كما أن بعض المراجع تشير إلى أن جلال الدين السيوطى رحل إلى شمال نيجبريا وأقام فى كاشنه زمناً يعلم ويرشد الناس ويفقههم فى الدين ثم غاد لمصر ثانية فى عام ٨٧٦هـ / ١٤٨١م .

---

(١) السعدى : مرجع سابق ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩

(٢) نفس المرجع ص ١١ .

(٣) Meek , C . K . : The Northern Tribes of Nigeria (London 1925) Vol . 1p. 61 .

هكذا انتشر الإسلام فى غرب أفريقيا – ودخلت الحضارة العربية بل والثقافة بمعناها الواسع فى إثره[1] .

وقد انتقل إلى غرب أفريقيا – كما رأينا علماء من الأقطار العربية الأخرى ، ونشأت مدن اشتهرت بطابعها الثقافى والحضارى .

والحقيقة إنه لو استمرت الحركة الثقافية الإسلامية فى طريقها فى غرب أفريقيا دون أن تصطدم بالإستعمار الأوربى لحققت أكثر من هذا ، ولقضت على بقايا ما كان بهذه المجتمعات من آثار وثنية .

فترمنجهام مثلاً يُشير إلى الثنائية التى تتضح فى مجتمعات غرب أفريقيا ، فهناك نُظم إسلامية صرفه إلى جانب تقاليد ترجع إلى ما قبل الإسلام[2] .

لكن لاشك فى أن الإسلام كانت – ومازالت له أثاره القوية فى مجتمعات غرب أفريقيا – وكان له أثره العميق خاصة أن الافارقه وجدوا أن هذا الدين يدعو للمساواة والقضاء على التفرقة والعبودية ، الكل سواسية – ولن يتميز أحد عن غيره إلا بالتقوى .

وقد سبقت الإشارة إلى أثر الفن المغربى وغيره من الفنون العربية – فى فنون غرب أفريقيا – شاهدنا ذلك فى المساجد وقصور الأمراء والحكام – فقد ساهم المهندس إبراهيم الساحلى فى بناء مسجد (جانكور) فى تنبكتو ، ومسجد غاؤ ، ومسجد العاصمة (ينانى) ، وقصر السلطان بها ، وقد ذكر إنه كانت به قاعة كبيرة على النظام المغربى .

وقد وصف ابن بطوطة هذه القاعة عند زيارته للعاصمة عام ١٣٥٣ ، أما مسجد جنى فهو من تصميم المهندس (إدريس المراكشى)[3] .

---

(١) Deschamphs , H . : Les Religions de L ' Afrique Noir (1945) p . 127 .

(٢) Trimingham , S . : Islam In Wesl Africa pp . 124.

(٣) نعيم قداح : مرجع سابق ص ١٥٤ – ١٦٠ .

هكذا كان للإسلام أثره القوى فى المجتمعات الأفريقية التى انتشر بها , كما كان للثقافة العربية ، والفن أثرهما على هذه المجتمعات ٠

ولا شك فى أن الحياة الثقافية والإجتماعية وعادات الناس وتقاليدهم ومعاملاتهم ونظم حياتهم المختلفة فى البلاد التى انتشر بها الإسلام فى شرق القارة وشمالها وغربها وجنوبها قد تأثرت تأثيراً قوياً بمبادىء الإسلام وتعاليمه ٠

* * *

الفصل السادس

المشكلات التى يواجهها المسلمون فى أفريقيا

انتشر الإسلام - كما رأينا - فى معظم أنحاء القارة الإفريقية عبر طرق متعددة، ودخل فى الدين الإسلامى أكثر من نصف سكان القارة .

وقد تتبعنا فى الفصول السابقة تاريخ المسلمين فى القارة على مر العصور منذ أن أشرق نور الإسلام وانتقل من شبه الجزيره العربية - مهد الإسلام - إلى سواحل أفريقيا ثم توغل فى الداخل إلى اليوم .

وكما رأينا أصبحت أقطار أفريقية عديدة تدين بالإسلام - فهو دينها الرسمى - بينما توجد أقليات إسلامية فى أقطار أفريقية أخرى .

وقد واجه الإسلام أثناء إنتشاره مشكلات عدة وعقبات ، لكن استطاع الرواد الأوائل من المسلمين التغلب على هذه العقبات وذللوها فلم تقف حائلاً دون انتشار الدين الجديد فى أرجاء القارة .

ولا شك فى أن المسلمين اليوم فى أفريقيا يواجهون مشكلات متعددة مماثلة ، وتحديد هذه المشكلات هى الخطوة الأولى لحلها .

ويمكن منذ البداية أن نفرق بين المشكلات التى تواجه المسلمين فى الأقطار الأفريقية الإسلامية التى تدين رسمياً بالإسلام والتى يمثل المسلمون فيها أغلبيه، وبين الوضع فى الأقطار التى لا يزال المسلمون يمثلون فيها أقلية .

والمشكلات التى تواجه المسلمين الأفارقة عامة يمكن أن تدرج فى الإطار التالى :

١ - مشكلات تتعلق بالنظام السياسى فى الأقطار الإسلامية الأفريقة .

٢ - مشكلة الشريعة الإسلامية ومدى تطبيقها فى هذه الأقطار .

٣ - مشكلات تتعلق بالأوضاع القبلية أو الإثنية ·

٤ - مشكلات تتعلق بعلاقة الأقطار الإسلامية بعضها مع البعض الآخر ·

٥ - مشكلاتتتعلق بالجامعة العربية ومهمتها :

٦ - مشكلات تتعلق بعلاقة الأقطار الإسلامية بالمنظمات الإقليمية والمنظمات العالمية ·

٧ - المشكلات الإقتصادية التى تعانى منها بعض الدول الأفريقية الإسلامية ·

٨ - مشكلات ثقافية تتعلق بموقف الدول الإسلامية من التيارات الثقافية المعادية ·

٩ - مشكلات تتعلق بعلاقات المسلمين الأفارقة بغيرهم من المسلمين فى الأقطار الإسلامية الأخرى ، وكذلك علاقتهم بالمسلمين الموجودين فى أقطار غير إسلامية خارج القارة الأفريقية (فى أوربا ، وآسيا ، وأمريكا · · ·) ·

١٠ - مشكلة الأقليات الإسلامية فى الأقطار الإفريقية غير الإسلامية ·

ولنلقى نظرة على كل من هذه المشكلات وموقف المسلمين الأفارقة منها :

١ - مشكلات تتعلق بالنظام السياسى ونظم الحكم فى الأقطار الأفريقية الإسلامية :

واجه المسلمون عامة هذه المشكلة بعد وفاة الرسول ﷺ متمثلة فى مشكلة الخلافة ·

وقد ناقش بعض المؤرخين أوجه الشبه وأوجه الإختلاف بين نظام الخلافة فى الإسلام وبين مثلاً ما كان قائماً فى الامبراطورية الرومانية القديمة[١] وأثار بعض المؤرخين مسألة جمع الخليفة بين السلطتين الزمنية والدينية ·

---

(١) لمزيد من التفصيل يرجع إلى :

Arnold , Thomas , W : The Caliphate (Oxford 1924) pp . 9 - 18 .

وقد اختلفت أراء علماء المسلمين حول شروط الخلافة وسلطة الخليفة ، وقد حاول السير توماس أرنولد - فى كتابه عن الخلافة أن يناقش الطريقة التى أُنتخب بها كل من الخلفاء الراشدين الأربعة ، كما ناقش الظروف التى إنتقلت فيها الخلافة إلى الأمويين ثم العباسيين ·

كما تناول فقهاء آخرون الأوضاع فى العالم الإسلامى عامة فى الوقت الحاضر وما يجب أن يتبع ذلك من تغيرات فى النظم الإدارية ·

على كل لقد ظهرت مشكلة الإدارة والحكم فى الأقطار الإسلامية الأفريقية وترتب عليها للأسف إراقه دماء المسلمين - كما هو حادث فى الجزائر مثلاً ، ولاشك فى أن مصلحة المسلمين تستوجب أن تُحسم هذه المشكلة بالطريقة السلمية حقناً لدماء المسلمين وحتى يتفرغ المسلمون لحل المشاكل الأخرى التى تواجههم ·

٢ - مشكلة الشريعة الإسلامية - ومدى التزام الحكومات الإسلامية الأفريقية بتطبيقها :

هذه المشكلة ترجع بنا إلى الأوضاع التى كانت سائدة - فى بعض دول غرب أفريقيا الإسلامية - فعلى الرغم من أن الإسلام كان قد انتشر فيها لكن لم تكن أحكام الشريعة نافذة وقد أثارت هذه الأوضاع بعض العلماء والفقهاء من الأفارقة أنفسهم فقاموا بحركاتهم الإصلاحية التى أشرنا إليها من قبل ·

والمعروف أن شمال أفريقيا وغربها وسودان ووادى النيل - كانت بيئات صالحة لنمو الحركات الإصلاحية ، وبعضها تأثر بالحركات الأخرى التى ظهرت فى أقطار أخرى من العالم الإسلامى - كالوهابية مثلاً - كما تأثرت هذه الحركات بالحركة الصوفية وغيرها من الحركات الإصلاحية التى نادت بأن يعود المسلمون فى سلوكهم وحياتهم للأوضاع السليمة التى كانت سائدة أيام الرسول - ﷺ وخلفائه ·

والدساتير فى الأقطار الإسلامية الأفريقية تنص كلها تقريباً - على أن الإسلام

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٥٣ ، ١٥٤ ·

دين الدولة وتحاول الحكومات فى هذه الأقطار أن تلتزم فى قوانينها بمبادىء الشرع · لكن هذا الإلتزام يختلف من قطر لآخر - كما أن قيوداً تحول أحياناً دون الالتزام الكامل والسليم بأحكام الشريعة ·

ولا شك فى أن رجال الدين والفقه يستطيعون بالحكمة والموعظة والإرشاد معاونة الحكومات الإسلامية فى هذه الأقطار لتطوير قوانينها وأحكامها لتلتزم تماماً بأحكام الشريعة ·

٣ - مشكلات ترتبط بالأوضاع القبلية والإثنية والعرقية فى الأقطار الأفريقية الإسلامية :

- برزت هذه المشكلة بشكل صارخ فى الصومال مثلاً وهو قطر إسلامى من أقطار الجامعة العربية ، وترتب على الصراع الدامى بين القبائل والفصائل المختلفة والنزاع بينها على السلطة إلى سقوط مئات القتلى والجرحى وفرار عدة الآلاف ولجوئهم للأقطار المجاورة حيث يعيشون فى خيام أو مراكز إيواء مؤقته وينتظرون الغوث من الهيئات الدولية وغيرها ، هذا بالإضافة إلى فصم وحدة البلاد وظهور حركات إنفصالية - وعدم وجود حكومة مركزية واحدة يخضع لها الكل وترتب على ذلك تصدع أركان الدولة ووقف عمليات التنمية وغيرها ·

فعلى الرغم من أن الشعب الصومالى يتميز بأنه أكثر الشعوب الأفريقية تجانساً فى الأصول العرقية والثقافية إلا أنه ينقسم فى بنته الإجتماعية إلى ثلاث قبائل هى الدارود ، والهاويية ، والإسحق - التى تنقسم بدورها إلى عشائر عديدة ·

ولم تستطع أى من النظم التى حكمت الصومال بعد إستقلاله فى عام ١٩٦٠م أن تحقق الاندماج الكامل بين هذه القبائل والعشائر ·

وبعد رحيل سياد برى - سيطر المؤتمر الصومالى على العاصمة مقديشيو وعُقد مؤتمر فى جيبوتى فى يولية سنة ١٩٩١م تقرر فيه تعيين على مهدى رئيساً مؤقتا لتهيئة البلاد لنظام ديمقراطى وإجراء انتخابات عامة - إلا أن الخلاف نشب بين الرئيس المؤقت وبين الجنرال محمد فرح عيديد رئيس المؤتمر الصومالى الموحد - مما دفع

الطرفين إلى قتال راح ضحيته أكثر من خمسين ألف قتيل وتسعين ألف جزيح - وتقاسم الخصمان السيطرة على العاصمة مقديشيو فأصبح الرئيس المؤقت يسيطر على الجزء الشمالى ورئيس المؤتمر الصومالى الموحد يسيطر على مناطق أخرى ·

وفى الوقت ذاته أعلنت قبائل الإسحق التى تسيطر على شمال الصومال - الأنفصال وأقامت ما يسمى (بأرض الصومال) ·

وقد تعددت المحاولات من جانب المنظمة الدولية وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية فى محاولة لسحب اسلحة القبائل المتنازعة بما عُرف بعملية (إعادة الأمل) وبذلت محاولات لإغاثة المحتـــاجين والمتضررين من جراء الحرب وما جرته من ويلات ·

كما بذلت منظمة الوحدة الأفريقية جهوداً مضنية لحل المشكلة ووقف نزيف الدماء ، وساهمت مصر بالذات فى هذه المحاولات وعقدُ أكثر من مؤتمر فى إثيوبيا برعاية الرئيس زيناوى ·

وتدخلت الجامعة العربية وشكلت لجنة لبحث المشكلة الصومالية ، كما ساهم المؤتمر الإسلامى فى محاولات إنقاذ الصومال من الوضع المتردى فيه ، وأضطرت قوات الأمم المتحدة للإنسحاب من الصومال فى مارس ١٩٩٥م - ولازالتُ تبذل محاولات مكثفة من قبل الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامى ومنظمة الوحدة الأفريقية للتوفيق بين القبائل المتصارعة لإتاحة الفرصة لإقامة حكومة مركزية تُعِد لإنتخابات حرة وللإتفاق على أسس يرتضيها الكل لقيام نظام حكومى ثابت فى الصومال يُخرج هذا البلد الإفريقى من محنته[1] ·

٤ - مشكلات بين الدول الأفريقية الإسلامية :

لعل مشكلات الحدود هى أبرز هذه المشكلات، والمعروف أن الدول الإستعمارية حين قسمت القارة إلى مناطق نفوذ لم ترع الوحدة الإقليمية التى يعيش عليها جمع مستقر من الناس ، ولم ترع العوامل الجغرافية أو الوحدة القبلية أو المصالح

(١) عن تطور مشكلة الصومال يرجع :
- قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن خلال أعوام ٩١ - ٩٥ ·
- قرارات منظمة الوحدة الأفريقية ، والجامعة العربية بهذا الخصوص ·

الأقتصادية بل لعب العامل الفردى دوراً رئيسياً فى تحديدِ الوحدات السياسية فى القارة ·

وبالطبع الأفارقه أنفسهم لم يكن لهم دور فى انشاء الحدود بين أقطارهم - فالحدود السياسية بين الدول الأفريقية من النوع الذى يُطلق عليه (الحدود الفلكية) المتمثلة فى خطوط مستقيمة تتمشى مع خطوط العرض والطول - وهى أسوأ أنواع الحدود[1] · ولذا واجهت الدول الأفريقية بعد استقلالها هذه المشكلة ·

ومن المشاكل التى نشبت بين الدول الأفريقية الإسلامية بخصوص الحدود مثلاً- مشكله الحدود بين المغرب والجزائر بخصوص المناطق الواقعة فى أقصى الجنوب حيث يوجد معدن الحديد فيها بالقرب من منطقة (تندوف) التى ضمُت للجزائر ·

وقد أدت هذه المشكلة لحروب بين البلدين العربيين الإسلاميين ·

ومن المشكلات المرتبطة بالحدود - مشكلة الصحراء الغربية التى ترتبط بالمنطقة التى كانت أسبانيا تحتلها وتُطلق عليها إسم الصحراء الأسبانية أو وادى الذهب · فقد طالبت المغرب بعد استقلالها بهذه المنطقة - وقد ظهرت أهميتها بعد اكتشاف الفوسفات فى بوكرع(١٩٦٢م) ، وحين أُحيلت المشكلة على محكمة العدل الدولية - لم يكن قرارها حاسماً ، وقد أعلنت المغرب ما عُرف بالمسيرة الخضراء فى عام ١٩٧٥م ·

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٧٥م حدث إتفاق بين أسبانيا والمغرب وموريتانيا على أن تترك أسبانيا إدارة المنطقة للمغرب وموريتانيا - لكن تطورت المشكلة بعد اعلان قيام الجمهورية الصحراوية فى ٢٧ فبراير ١٩٨٦م واعترف عدد من الدول بها ، وأدى الأمر لحرب بين البوليزاريو(الجناح العسكرى)للجمهورية الصحراوية وبين قوات المغرب وموريتانيا،وانسحبت موريتانيا من المشكلة واستمر النزاع بين المغرب والبوليزاريو ؛ وساندت الجزائر البوليزاريو عســـكرياً وأدى اعتراف عدد ومن دول منظمة الوحدة

(١) عن مشكلات الحدود الأفريقية يرجع إلى :

Boggs , O , w . : International Boundaries (N . Y . 1960) .

الأفريقية بالجمهورية الصحراوية – لتعليق المغرب عضويتها فى المنظمة – ورغم قبول المغرب أخيراً لمبدأ الاستفتاء فى الصحراء الغربية ، لكن إلى الآن تتعثر جهود المنظمة الدولية لإجراء هذا الاستفتاء بسبب الخلاف على من لهم حق التصويت – وقد زار الأمين العام للأمم المتحدة المنطقة ، وكان الأمل فى إجراء الاستفتاء فى عام ١٩٩٥م حتى تنتهى هذه المشكلة التى استنزفت الكثير من الجهد والمال من كل الأطراف وحتى تستقر العلاقات الطيبة بين المغرب والجزائر- لكن تعثرت الجهود المبذولة لتحديد من يحق لهم الادلاء بأصواتهم فى الاستفناء مرة أخرى[١] .

٥ – مشكلات تتعلق بالجامعة العربية :

أُنشئت الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥م بهدف دعم العمل العربى المشترك ، ومساندة الدول العربية (الإسلامية) فى كفاحها ضد الإستعمار وتحقيق المصالح المشتركه لدول الجامعة .

وقد ساهمت الجامعة العربية فى حل العديد من المشكلات العربية ، وساندت حركات التحرير فى الجزائر ، وتونس ، والمغرب وغيرها من الأقطار الأفريقية الإسلامية التى كانت ترزح تحت نير الإستعمار الأوربى[٢] .وأهمية الجامعة العربية فى دعم العمل العربى فى مختلف الأقطار العربية الإسلامية الإفريقية لاتحتاج لمزيد من التفصيل .

لكن قد تكون هناك سلبيات ووجهات نظر مختلفة فيما يتعلق بالدور الذى يمكن أن تقوم به الجامعة وفى ممارساتها وموقفها من القضايا والمشكلات العربية وهناك اصوات تُنادى بتعديل ميثاق الجامعة إلى غير ذلك من الإتجاهات .

---

(١) عن هذه المشكلة يرجع الى :

شوقى الجمل : مشكلة الصحراء الغربية - الجذور التاريخية للمشكلة

(بحث قُدم لندوة الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة ، معهد البحوث الافريقية بجامعة القاهرة ، مارس ، ١٩٩٥م) .

(٢) لمزيد من التفصيل يرجع لقرارات مجلس الجامعة العربية ولمحاضر جلساتها .

والمهم أن تتضافر الجهود الصادقة لتدعيم الجامعة حتى يمكن أن تؤدى مهمتها على خير وجه - ولا شك فى أنها تستطيع أن تُسهم بدور فعال فى حل مشكلات الدول الإسلامية فى أفريقيا بل وفى العام كله .

ولعل هذا يجرنا للحديث عن بعض المشكلات التى تواجهها بعض الدول الأفريقية الإسلامية كمشكلات الكوارث الطبيعية ، والجفاف والتصحر والسيول ، والزلازل وغيرها ، وواجب الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى لتقديم العون والمساندة لهذه الدول المضارة .

٦ - مشكلات تتعلق بالعلاقة بالمنظمات الدولية والمنظمات الإقليمية :

الدول الأفريقية الإسلامية كلها أعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة الأمم المتحدة ، ولا شك فى أن هذه الدول الإسلامية تحس بالمشكلات الصارخه التى تعانى منها شعوب اسلامية سواء فى أفريقيا أو فى أوربا أو غيرها من القارات .

وواجب هذه الدول أن تتفق على رأى موحد وموقف موحد لمسانده حقوق الشعوب الإسلامه ومصالحها - ووزن هذه الدول وعددها يجعلها قوة مؤثرة فى اتخاذ القرار ،و يُعمل لها حسابها .

ولعل مشكلات - كمشكله البوسنة والهرسك ، ومشكلة المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية التى كانت ضمن الإتحاد السوفيتى وغيرها تُعطى أمثلة لما يمكن للمساندة الجماعية من الدول الإسلامية الأفريقية أن تحققه فى هذا المجال وفى غيره من المجالات المماثلة .

٧ - المشكلات الاقتصادية التى تعانى منها بعض الدول الأفريقية الإسلامية :

أشرنا عند الحديث عن دور الجامعة العربية إلى هذه المشكلة بالذات وواجب الدول الإسلامية الأفريقية تجاهها .

ولا شك فى أن المشكلة الاقتصادية من أعنف المشكلات التى تواجهها الدول النامية عامة ، وقد بُذلت جهود لحل مشكلة مديونية هذه الدول ، وواجب دول

الشمال الغنية تجاه دول الجنوب التى أصبحت غير قادرة على القيام بما يجب للنهوض بمشروعات التنمية وغيرها من متطلبات الحياة فيها ..

وواجب الدول الإسلامية الأفريقية أن تقدم ما تستطيع تقديمه سواء من الخبرة الفنية أو المادية أو غيرها لشقيقاتها فى الدول الأفريقية الإسلامية الأخرى لمواجهة مثل هذه المشكلات .

٨ - مشكلات ثقافية تتعلق بموقف الدول الإسلامية من التيارات الثقافية المعادية :

الإسلام له مبادئه الواضحة والملزمه للمسلمين فى كافة الأقطار - وقد واجه المسلمون فى أفريقيا - كما ذكرنا - فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تيارات وممارسات تخالف الإسلام وتعاليمه .

والدول الإسلامية الأفريقية فى هذا القرن العشرين تواجه تيارات أعنف وثقافات ومبادىء تتنافى مع تعاليم وأخلاق الإسلام .

وواجب الدول الإسلامية الافريقية أن تقف بحزم فى وجه هذه التيارات خاصة ما يؤثر منها على الشباب ، فإنحرافات الشباب لاشك فى أنها تعصف بقوة الشعوب والدول الإسلامية فى القارة .

وهذا يوضح المسئولية الخطيرة للوزارات المعنية بالثقافة والتعليم فى الدول الإسلامية الأفريقية لتنقية المناهج والكتب ، ووسائل التثقيف والإعلام وتوجيهها لما يبنى الفرد المسلم الصحيح المتمسك بتعاليم دينه .

والاذاعة المصرية ، وما حققته من طفرة كبيرة لتطوير قنواتها ، وليصل إرسالها لمختلف الأقطار العربية والإسلامية - خطوة فى هذا المجال .

٩ - مشكلات تتعلق بعلاقة المسلمين الافارقة بغيرهم من المسلمين فى الأقطار الإسلامية الآخرى :

لاشك فى أن المسلمين فى العالم كله مفروض أنهم كالبنيان يشد بعضه أزر بعض .

فإذا كان الواجب يحتم على المسلمين فى باقى الأقطار الإسلامية خارج القارة أن يقدموا للمسلمين الأفارقة أيدى العون والمساعدة لحل مشكلاتهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية - فمن واجب المسلمين أيضًا فى الأقطار الأفريقية أن يرتبطوا عاطفياً وثقافياً ودينياً مع باقى قضايا العالم الإسلامى · ولعل المؤتمر الإسلامى له دور فعال ويسهم فى هذا المجال - فهناك قضايا إسلامية هامة تهم المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ويستلزم لحلها الحل الأمثل تضافر المسلمين فى جميع القارات والأقطار لحل هذه المشكلات ·

ولعل إجتماع المسلمين الأفارقة - وغير الأفارقة - فى مثل هذه المؤتمرات الهامة الجادة - تُسهم فى حل هذه المشكلات وبالطبع فى هذا المجال لا يقتصر الأمر على القرارات بل أن توضع موضع التنفيذ ، وأن تكون هناك متابعة كاملة لما اتخذ من قرارات وما نفذ منها وما لم ينفذ والعوائق التى تحول دون التنفيذ ·

١٠ - مشكلة الأقليات الإسلامية فى أفريقيا :

إذا كان للمسلمين الأفارقة فى أقطارهم التى يمثلون فيها أغلبية مشكلاتهم فلاشك فى أن المسلمين فى جنوب أفريقيا مثلاً وفى غيرها من الأقطار التى يمثلون أقلية فيها - لهم مشكلاتهم التى قد تكون أشد عنفاً من مشكلات إخوانهم فى الاقطار التى يمثل المسلمون فيها أغلبية ·

فهناك وضع هذه الأقلية الإسلامية - وحقوقها بالنسبة لحقوق الأغلبية - ومدى ما تتمتع به من حرية فى ممارسة شعائرها الدينية ·

كل هذه وغيرها مشكلات تحتاج للمدارسة والتعاون بين الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى وغيرها من الدول الإسلامية لحل مثل هذه المشكلات - لمساندة هذه الأقليات الإسلامية لتتمتع بحقوقها ·

ولا شك فى أن من حق هذه الأقليات الإسلامية أن تلقى المساندة من الهيئات الدبلوماسية للدول الإسلامية فى الدولة التى تعيش فيها هذه الأقليات ·

* * *

خاتمــــــــة

تعرضنا فى صفحات هذا البحث لتاريخ المسلمين فى القارة الأفريقية وأوضحنا كيف دخل الإسلام فى القارة وانتشر انتشاراً سريعاً وبيسر وعن طريق المعايشة والمعاملة الطيبة سواء للتجار المسلمين أو لغيرهم من المسلمين الذين وفدوا للقارة ·

وترتب على ذلك أن أصبح كما ذكرنا أكثر من ٥٠ ٪ من مواطنى القارة مسلمين يمثلون الجناح الأفريقى للأمة الإسلامية

ولا شك فى أن الأبواب مفتوحة أمام الإسلام والمسلمين لينتشر الدين الحنيف إلى اقطار أخرى فى أفريقيا ولتدخل فيه شعوب أفريقية لا تزال بعيدة عنه ·

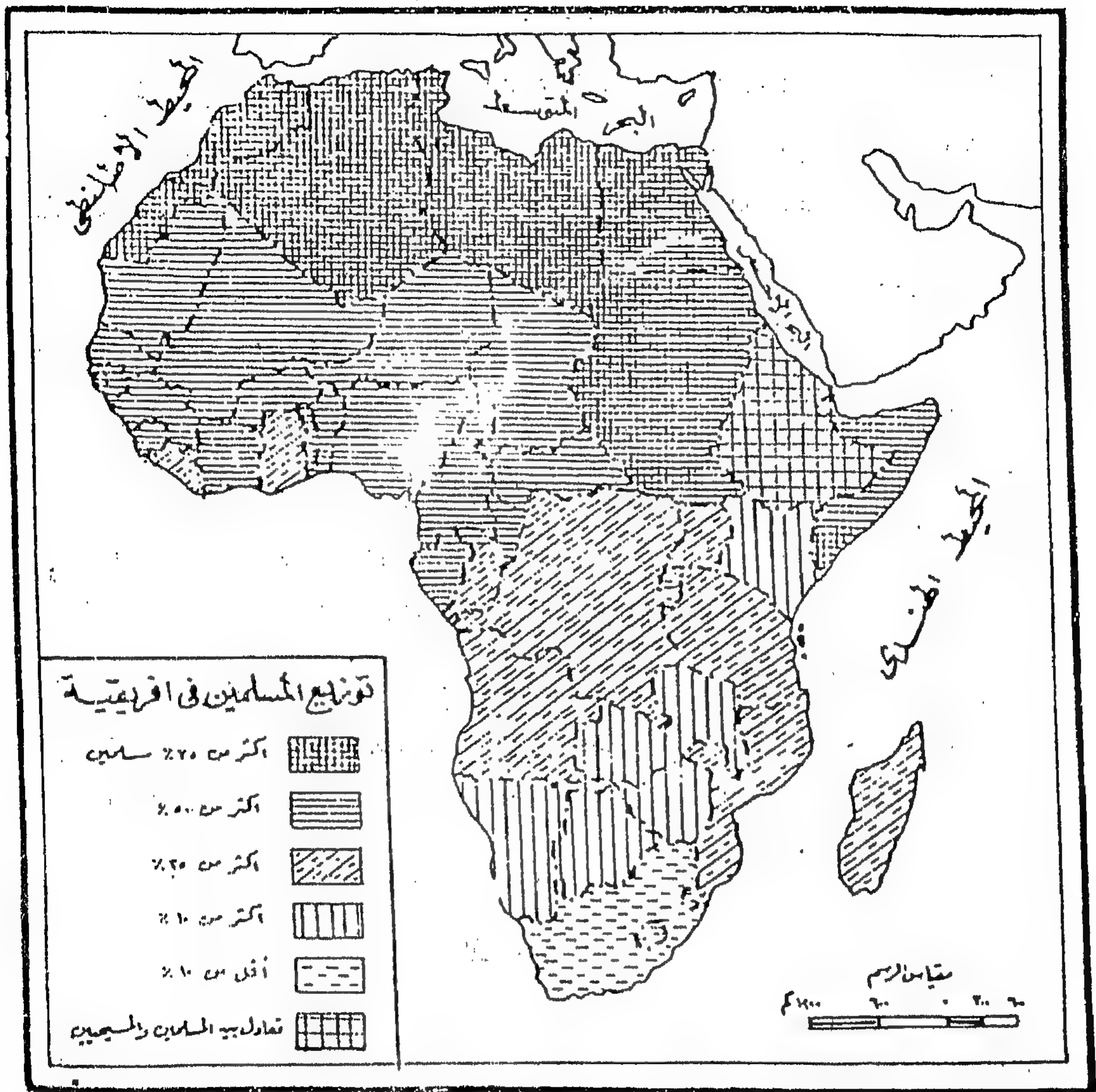
وإذا كان للمسلمين فى أفريقيا – كغيرهم – مشكلاتهم – فكما ذكرنا فإن تحديد هذه المشكلات ووضع أيدينا على أسبابها يُسهم فى حلها ·

والدراسة المتأنية والمدققة لتاريخ الإسلام والمسلمين فى القارة ولما واجههم فى سبيل نشر رسالتهم وما يواجههم اليوم – هى الطريق السليم لنشر الإسلام وتعاليمه على نطاق أوسع ·

وهذا هو واجب المسلمين دولاً وأفراداً

والله المعين

الباحثان


المحيط الأطلنطى
البحر المتوسط
البحر الأحمر
المحيط الهندى
توزيع المسلمين فى افريقية
أكثر من ٧٥٪ مسلمين
أكثر من ٥٠٪
أكثر من ٢٥٪
أكثر من ١٠٪
أقل من ١٠٪
تعادل بين المسلمين والمسيحيين
مقياس الرسم

(شكل رقم ٨)

المصادر والمراجع

أولا : مراجع عربية أو معربة :

١ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - جـ٢ (بولاق ١٢٧٤هـ) .

٢ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٢٠هـ) .

٣ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر (القاهرة ١٩١٤م) .

٤ - ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشـــام : كتاب سيرة رسول الله (١٣٢٢هـ) .

٥ - أبو العباس أحمد بن محمد المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب (بولاق ١٨٦٢هـ) .

٦ - أبو سليم ، محمد إبراهيم : الحركة الفكرية فى المهدية (١٩٧٠م) .

٧ - إحسان حقى : تونس العربية (د . ت) .

٨ - أحمد العوامرى بك ، محمـــد جاد المولى : مهذب رحلة ابن بطوطة (مطبعة بولاق) .

٩ - أحمد بن الحاج أبو على (كاتب الشونة) : تاريخ مدينة سنار (مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ٢١٨) .

١٠ - أحمد بن خالد السلاوى الناصرى : الإستقصـــاء لأخبار المغرب الأقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤ / ١٩٥٦) .

١١ - آدم عبد الله الآلورى : الإسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١م)

١٢ - بوركهارت ، جون لويس : رحلات بوركهارت فى بلاد المغرب ، والسودان نقلها للعربية فؤاد أندراوس (١٩٥٦م) .

١٣ - البلاذرى: فتوح البلدان ١٩٣٢م .

١٤ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام (معرب - القاهرة ١٩٥٧م) .

١٥ - جمال الدين الدناصورى وآخرون : جغرافية العالم - دراسة اقليمية (د. ت) .

١٦ - حسن أبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٦م) .

١٧ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى (١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) .

١٨ - حسن أحمد محمود : انتشار الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا جـ١ (١٩٨٦م) .

١٩ - حسن أحمد محمود : قيام دولة المراطين (القاهرة ١٩٥٧م) .

٢٠ - حسين المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان (د . ت) .

٢١ - حمدى السيد سالم : الصومال قديماً وحديثاً (١٩٦٥) .

٢٢ - زاهر رياض : كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢م) .

٢٣ - زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا (١٩٦٦م) .

٢٤ - زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا (١٩٦٦م) .

٢٥ - سليمان كشه : اللواء الأبيض (الخرطوم ١٩٦١م) .

٢٦ - الشاطر بوصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل (١٩٥٠م) .

٢٧ - شوقى عطا الله الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٩٥٨م) .

٢٨ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ سودان وادي النيل وعلاقاته بمصر جـ١ (١٩٦٩م) .

٢٩ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر جـ٢ ، (١٩٦٩م) .

٣٠ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر جـ٣ (١٩٨٠م) .

٣١ - شوقى عطا الله الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (١٩٧١م) .

٣٢ - شوقى عطا الله الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٩٧٤م).

٣٣ - شوقى عطا الله الجمل : الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا (١٩٨٨م) .

٣٤ - صلاح العقاد ، جمال زكريا : زنجبار (القاهرة ١٩٥١م)

٣٥ - صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة (١٩٦٤م) .

٣٦ - عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بغرب أفريقيا (١٩٦١م) .

٣٧ - عبد الرحمن زكى : المراجع العربية فى غرب أفريقية (١٩٦٨م) .

٣٨ - عبده الرحمن السعدى : تاريخ السودان - نشره هوداس (١٨٩٨ م) .

٣٩ - عبد العزيز كامل : جغرافية الإسلام فى أفريقية (د . ت) .

٤٠ - عبد العزيز محمد الشناوى : الأزهر جامعاً وجامعة جزاءن (١٩٨٣م / ١٩٨٤م) .

٤١ - عبد العزيز محمد عبد المجيد : التربية فى السودان والأسس النفسية والإجتماعية التى قامت عليها - ٣ أجزاء ، القاهرة (١٩٥٦م) .

٤٢ - عبد الكريم السيد : اللواء الأبيض وثوره ١٩٢٤م (الخرطوم ١٩٧٠م).

٤٣ - عبد الله المشد ، ومحمد خليفة : تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال ، وازيتريا ، وأوغنده ، والحبشة (١٩٥١م) .

٤٤ - عبد الله بن خلفان بن قيصر : سيرة الإمام ناصر بن رشد (مخطوط - بالمحفوظات بلندن رقم ٢٣٤٣) .

٤٥ - عبد الله بن سليم الأسوانى : أخبار النوبة ، والمقرة ، وعلوة ، والبجة والنيل (د . ت) .

٤٦ - عبد الله عبد الرازق أبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤م) .

٤٧ - عبد الله عبد الرازق أبراهيم : أضواء على الطرق الصوفية فى القارة الإفريقية (١٩٩٠م) .

٤٨ - عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤م) .

٤٩ - عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، وتاريخ العرب المستنصرين (القاهرة ١٩٦٦م) .

٥٠ - عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تاريخ المغرب (١٩٤٩م) .

٥١ - عرب فقيه ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان : فتوح الحبشة (نشره رينيه باسيه - حققه فهيم شلتوت ونشرته الهيئة العامة للكتاب بمصر (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .

٥٢ - العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ - معارف عامة) .

٥٣ - الفشتالى : مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفا (تحقيق عبد الكريم كريم نشرته دار الأوقاف بالرباط (١٩٧٤م) .

٥٤ - فيليب رفله : الجغرافية السياسية لأفريقيا (١٩٦٥م) .

٥٥ - مؤرخ مجهول : تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرتيه (نشره جورج كولان - ١٩٣٤م) .

٥٦ - محمد المعتصم : مهدى الصومال - بطل الثورة ضد الإستعمار (١٩٦٥م) .

٥٧ - محمد بن عمر التونسى : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (نشره محققاً د . خليل عساكر ، د . مصطفى مسعد) .

٥٨ - محمد بلو : انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور (مطبعة الأزهر ١٩٦٤م) .

٥٩ - محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية (القاهرة ١٩٥٦م) .

٦٠ - محمد ضيف الله محمد (ود ضيف الله) : الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء (الخرطوم ١٩٣٠م) .

٦١ - محمد عبد الغنى سعودى : أفريقية - دراسة فى شخصية القارة شخصية الإقليم (١٩٨٣م) .

٦٢ - محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر (١٩٩٤م) .

٦٣ - محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله (١٩٥١م) .

٦٤ - محمود الشنيطى : قضية ليبيا (١٩٥١م) .

٦٥ - محمد كعت : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيـــوش وأكابر الناس ترجمه هوداس وديلافوس - باريس ، ١٩٦٢م) .

٦٦ - المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة ١٣٤٦هـ) .

٦٧ - مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ١٩٦٠م) .

٦٨ - المقريزى : الخطط جـ١ ، (١٣٢٤هـ) .

٦٩ - المقريزى : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشره د. رنك) .

٧٠ - مكى شبيكه : السودان فى قرن ١٨١٩ - ١٩١١ (١٩٤٧) .

٧١ - المنجى الكعبى : تحقيق وتقديم لقطعة من كتاب الرقيق القيروانى - تاريخ أفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨م) .

٧٢ - نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وجغرافيته جـ٢ (١٩٠٣م) .

٧٣ - نعيم قداح : أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٤٠م) .

ثانيا : أبحاث فى دوريات أو ندوات علمية :

١ - شوقى الجمل : ولاية الحبش العثمانية بين إياله جده والإدارة المصرية ودورها فى الأمن القومى العربى (بحث ألقى فى الندوة العالمية الخاصة بمصر والجزيرة العربية - كلية آداب القاهرة (أبريل ١٩٩٣م) .

٢ - محمد المفاسى : معركة وادى المخازن الحاسمة .

(مجلة البحث العلمى بالرباط - العدد الرابع ، ديسمبر ١٩٦٦م) .

٣ - محمد عبد الغنى سعودى : الصومال عضو جديد فى الجامعة العربية (مجلة البحوث والدراسات العربية ، العدد الخامس ، يونية ١٩٧٩م) .

٤ - مدثر عبد الرحيم : الإسلام والسياسة فى السودان (بحث قدم فى المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم ، ٢٩ محرم - ٤ صفر ١٤٥٣هـ / نوفمبر ١٩٨٢م) .

٥ - مصطفى محمد مسعد : الإسلام وحركات الفولانى الإصلاحية فى غرب أفريقيا (مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الأول ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .

ثالثا : رسائل جامعية (غير منشوره) :

١ - حلمى جرجس غبريال : موقف الإدارة فى السودان من الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين (رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة) .

٢ - حسن على منيسى : رابح فضل الله الزبير ودوره فى مقاومة الإستعمار فى أفريقيا (رسالة ماجستير - معهد البحـــوث والدراسات الأفريقية - بجامعة القاهرة ، بإشراف د . شوقى الجمل) .

٣ - راجيه محمد عفت : الثقافة العربية فى شرق أفريقيا (رسالة دكتوراه - معهد البحوث الأفريقية ، ١٩٨٠م) .

٤ - عبد النبى على أحمد على : الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا (رسالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، باشراف د . شوقى الجمل) .

٥ - محمود سمير أحمد محمد الثابعى : عثمان فودى (رسالة ماجستير ، معهد البحوث الأفريقية ، ١٩٧٧م . باشراف د . شوقى الجمل) .

٦ - نصر الدين رشوان حسن : دوله ساموورى فى غرب أفريقيا (١٨٧٢ - ١٨٩٨م) (رسالة دكتوراه من معهد البحوث الأفريقية، بجامعة القاهرة ١٩٧٩م) .

* * *

رابعاً – مراجع باللغات الأجنبية :

1 . Alford and Sword : The Egyptian Sudan Its Loss and Recovery (London 1996) .

2 . Allen , B . H . : Gordon and The Sudan (London 1931) .

3 . Arnold , Thomas : The Caliphate (Oxford 1929) .

4 . Bovill , E . W . : The Golden Trade of The Moors (London 1956) .

5 . Blant , W . S . : Gordon at khartoum (London 1923) .

6 . Boggs , S . W . : International Boundaries (N . Y . 1963) .

7 . Budge , E . A . Wallis : The Egyptian Sudan , Its History and Monuments Vol . 2 (London 19o1) .

8 . Burns , Alan : History of Nigeria 1955 .

9 . Buttler , Alfred : The Arab Conquest of Egypt (Oxford 19o2) .

1o . Churchill , W . : The River War , An Account of the conquest of the Sudan (London 1933) .

11 . Coupland , R . : East Africa and Its Invaders (London 1938) .

12 . Crowder , M . : The Story of Nigeria (London 1960)

13 . Davidson , Basil : The Growth of central Africa Civilsation 1963 .

14 . Deschamps , H . : Les Religions De L ' Afrique Noir (1945) .

15 . Dubois , E . : Tombouсto La Mysterieuse (Paris 1981) .

16 . Dubois , F . : Islam Noir (Paris 1899) .

17 . Duffy , James : Portuguese Africa (London 1951) .

18 . Fage : An Introduction To The History of West Africa (Cambridge 1955) .

19 . Gordon : The journals of Major , Gen , Gordon , at Khartoum (Leipzig 1960) .

20 . Graftan , Milne : History of Egypt Under Roman Rule(London 1913)

23 . Hill , Richard . Egypt In The Sudan 1820 - 1981 (London 1959) .

24 . Holt . P . M . : The Mahdist State In The Sudan (Oxford 1958) .

25 . Hoskins : British Routes to India (1928) .

26 . Jardine , D . : The Mad Mullah of Somali Land (1963).

27 . John Ston , H . : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913) .

28 .Junker : Travels in Africa Vol . 111 (London 1890) .

29 . Lewis , I . M . : The Modern History of Somali Land (London 1965) .

30 . Lewis , I . M . : Islam in Tropical Africa (Oxfoed 1960) .

31 . Mac . Michael : A History of the Arabs In The Sudan (Cambridge 1922) .

32 . Meek , C . K . , : The Northern Tribes of Nigeria . (London 1928) .

33 . Muddathir , Abdal Rahim : Imperialism and Nationalism in the Sudan (Oxford 1969) .

34 . Slatin , R . : Fer et Feu Au Soudan (Le Caire 1898) .

35 . TouvaL , s . : Touval , s . Somali Nationalism (Cambridge 1965) .

36 . Trimingham , Spencer : Islam in The Sudam (1949) .

37 . Trimingham , Spencer : Islam in Ethiopia (1952) .

38 . Trimingham , Spencer : Islam in East Africa (Oxford 1964) .

39 . Trimingham , Spencer : Islam in West Africa (Oxford 1964) .

40 . Wingate , Major : Report to the Sirdar (15 th nov . 1891) .

خامسا : دوريات أجنبية :

Brivar , A . D . D . H . : Wathigat Ahl - Al Sidan (Journal of African History vol . 11 , no . 2 , 1961) .

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضـــوع

الصفحة

الموضـــوع

الصفحة

الموضـــوع

صفحة

الموضـــوع